رواية

اسْتِزْلَالُ الشَّيْطَانِ

والخروج من ظلمات النفس إلى نور اليقين

الطارق

فهرس

صفحة

- تقديم ٤
- الفصل الأول، تساؤلات الإيمان ٦
- الفصل الثاني، إجابات الإيمان ١٨
- الفصل الثالث، الفطرة تأبى الفاحشة؛ إلا أن الناس ملّت الفطرة ٢٨
- الفصل الرابع، اللواطيون مربوطون فكرياً وجسدياً..... ٣١
- الفصل الخامس، حديث الإيمان والإلحاد ٣٨
- الفصل السادس، نبأ إبليس ٧٨
- الفصل السابع، ما هو استزلال الشيطان؟..... ٨٨
- الفصل الثامن، أدلة الإيمان ٩٣
- الفصل التاسع، عاقبة اللواط والشذوذ..... ١٠١
- الفصل العاشر، حبُّ النساء..... ١١٣
- الفصل الحادي عشر، رجال دين ليسوا بمؤمنين، ومؤمنون ليسوا برجال دين.. ١٢٠
- الفصل الثاني عشر، ندم على فعل فاحشة اللواط، ولكنه ندم بعد فوات الآوان.. ١٤٢

- الفصل الثالث عشر، الانحراف الجنسي وعلاجه..... ١٤٦
- الفصل الرابع عشر، الإيمان الصافي من غير شائبة..... ١٨٣
- الفصل الخامس عشر، طلب العفو من الله؛ فأذهب الله عنه ما هو فيه..... ٢٠٣
- الفصل السادس عشر، الوداع ٢١١
- الخاتمة ٢١٤

بسم الله الرحمن الرحم

ربِّ يسِّر وأعِّن

على بركة من الله تمت هذه الرواية، وتم فيها سرد قصص وأحاديث للخروج بالناس من غفلتهم إلى إدراك أنفسهم، ومن ثم إرجاعهم من العالم المظلم الذي يعيشون فيه في مخيلتهم وداخل رؤوسهم؛ إلى العالم الحق الذي من حولهم.. فينتبهوا له بعد أن كادوا ينسونه.

وقد حاولنا في صفحات تلك الرواية أن نُذكِـر الناس بأنفسهم.. فحاولنا تنبيههم وإثارتهم بالتعجب من كونهم وكون الأشياء من حولهم: من هم؟ كيف جاءوا ولماذا؟ وكيف جاءت الحياة من حولهم ولماذا؟ ومن هو الذي وراء كل ذلك؟

وبعد أن تسألنا تسأولات الإيمان؛ حاولنا أن نجد لها إجابة تشفى الصدور حقاً.. إجابة يحس بها الناس جميعاً.. إجابة تربط الناس مع فطرتهم الإنسانية.. إجابة لا تأخذهم إلى حياة الشياطين وعالمهم.. إجابة لا تبطل فيها معاني الحياة. وتلك هي إجابة الإيمان بالخالق المريد الذي يعلم ما يريد.

وتم في صفحات تلك الرواية أيضاً؛ أن نسفنا كل ما ليس له قرار من المعتقد والظن.. فتم لنا نسف الشيطان الرجيم ووسوسته.. واللواط وسوءه.. والإلحاد وخزعبلاته. وقمنا برصد كل حالة على حِدة وكيفية قدومها على النفس البشرية.. وبعد أن تم الرصد؛ بدأنا في النسف.. فرأينا عالماً من التوهان والضياع الذي لا يقوم بنيانه على شيء.

فرأينا الشيطان يفرفر في قبضة يميننا وكم هو ضعيف أحمق بليد! ورأينا اللواط وأسبابه.. وما هو إلا كيد من كيد الشيطان كما سيتضح فيما يلي من الرواية، ورأينا أيضاً الإلحاد كيف هو! فرأيناه ديناً يدين الناس به كباقي الأديان.. إلا أنه ليس كباقي الأديان.. لأنه هو دين الضياع والتوهان.. دين الضياع حيث لا وجود لأي شيء ولا وجود معنىً من معاني الحياة.

الطارق

الفصل الأول

وصل متأخراً، وعلى عجلة ينادى :

_ دانيال.. يا دانيال !

طلَّ دانيال وقال غير مُبالٍ لتأخيره، ويبدو أنه مشغول بشيء :

_ أهلاً إلياس.. _وأشار أن يصعد_

فقال معترضاً :

_ نحن متأخرين.. هيا لنذهب !

قال دانيال مشيراً مرة أخرى أن يصعد :

_ فقط اصعد.. أريد أن أحدثك في شيء ما .

فقال له:

_ في ماذا ستحدثني إننا متأخرون ؟

وقد اعتقد إلياس بأن دانيال سيكون على عجلة هو الآخر.

صعد إليه إلياس وجلسا.. ثم أخذ دانيال نفَسه وتجهز لما سيقوله:

_ يوجد شيء يشغل كل تفكيري ويصيبني بالحيرة أيضاً.

قال إلياس:

_وما هو ذاك ؟

سكت دانيال لوهلة.. وحاول أن يجد كلاماً ليصف به شعوره.. ثم قال:

_ أنا وأنت.. والعالم من حولنا! أشجار.. وأصوات.. وجبال.. ونور بسببه نرى.. حيوانات ومخلوقات منتشرة في كل مكان على الأرض. أعتقد أن عدم محاولتنا رؤية بعض الأشياء بطريقة مخالفة لما اعتدنا عليه؛ قد جعلنا لا نستوعب كل ما فيها من عجب.

قال إلياس :

_ ماذا تقصد؟

ردَّ عليه دانيال:

_ انظر حولك! ستجد أن الناس من اعتيادها على رؤية ما حولهم من أشكال الحياة ومافيها من كائنات وسهول وأشجار وبحار؛ أصبحوا لا يبالون لتلك الحياة، وكأنهم ليسوا موجودين فيها.. وكأن ما حولنا لا يستحق ولو قليلاً من التفكير.. وكأن ما حولنا ليس له وجود.. وأصبح الذي له وجود حقاً هو ما يجول في عقولنا وفي رؤسنا! كأن الناس لا تمشي إلا في رؤسها، ولا ترى إلا ما يشغل بالها فقط.

قال إلياس:

_ أوتعلم أن ما قلته الآن غالباً هو ما أفكر فيه في معظم أوقاتي.. وينتابني بعد التفكير في ذلك إحساسٌ غريب.. إحساسٌ غريب بأن هناك شيئ سوف نعرفه.. شيء سوف نعرفه وهو الذي سيُفسر وسيُعرفنا كل شيء عن هذا الذي حولنا.. ماهو؟

أخذ إلياس ينظر فيما حوله من أشكال الحيوة ويتعجب من كونها وكيف أنها موجودة ولماذا وُجدت.. ثم أكمل قائلاً:

_ إن الأمر ليس كما يبدو لأكثر الناس.. بل إن أكثر الناس في الأصل لا يبدو لها شيء حتى نقول يبدو أو لا يبدو.. وكأنهم لا يبصرون!

تحدث إلياس بطريقة حزينة.. جادة.. وممسكاً على جفونه من إمعانه، انتبه دانيال لما قد سمعه من صديقه إلياس.. ثم قال:

_ هذا بالفعل هو الواقع.. فإننا في مشينا وفي معظم أفعالنا؛ نحن لا نُبصر ما حولنا، ولكن نُبصر ما يدور في مخيلتنا وما يجول في صدورنا.. وكأننا لا نعيش في البيئة التي نشأنا فيه.. بل نعيش فقط من أجل تنفيذ ما يجول في مخيلتنا وفيما تحتاجه أجسادنا وما يشبعها.. وإنه في الغالب لا يشبعها شيء.

يعمُّ الصمت قليلاً.. ثم يقول دانيال:

_ فالذي يُحب ويشتهي شيء، ويعتقد بأن الراحة ستكون في فعل هذا الشيء؛ فإنك تراه منغمزاً فيه ويسعى له، وترى الأبواب تُفتح له بعد الأبواب.. وكأنه يُمد له فيه.. شيء عجيب! شيء عجيب أننا نعيش في عالم غير الذي نعيش فيه، والأعجب منه أننا لا نُبصره.. ولكن نُبصر فقط العالم الذي يجول في صدورنا، ومن ثم نغفل عن العالم الحقيقي الذي حولنا.

لكنَّ الواجب علينا أن نُبصر العالم الذي نعيش فيه.. وأن نعطي له اهتماماً أكثر، ونتذكر بأن هناك تنبيهات قد استوقفتنا من قبل جعلتنا نتعجب لهذا العالم الذي من حولنا؛ ولكننا لم نُبالي لها.

مشى ناحية الشرفة.. وحدَّ بصره ثم قال :

_ إنني سقيم !

قال إلياس :

_ كيف هي حال "سارة" ؟ _ وأخذ يضحك على تحويله مسار الحديث_

تبسم دانيال ضاحكاً.. ثم قال له:

_ ألم أقل لك؟ أشياء من هذا القبيل؛ هي التي تُنسينا وتُلهينا عن التفكير في العالم الذي من حولنا.. فهل تجد هذا غريباً؟

تبسم إلياس؛ فتبسم دانيال له ثم قال:

_ أخبار سارة يا سَـيِّـدي.. وهذا بالمناسبة ما ناديت عليك من أجله.

قال إلياس مبتسماً:

_ جيد..

أكمل دانيال قائلاً:

_ سوف أتقدم لخطبتها.

فقال إلياس متفاجئاً وقد مدَّ رأسه للأمام، وفاتحاً عيناه، ورافعاً حاجباه فرحاً:

_ أصحيح ذلك؟

تبسم دانيال.. ثم أقبل إليه إلياس معانقاً:

_ مبروك يا أخي.. مبروك !

مكث فرحاً قليلاً ثم قال :

_ ولعل بسبب زواجك منها تتضح عندك الرؤية أكثر للأشياء التي كنا نتحدث عنها منذ قليل.

قال دانيال مؤكداً لكلامه:

_ نعم! فلعل زواجي منها يغلق باباً من حاجات النفس وأنشغل كثيراً كما ذكرت.. ولعل الرؤية تتضح أكثر.. ولكن عليَّ أولاً بطرف الخيط الذي سوف يُوصلني ويُعرفني أكثر عن أمر هذه الحياة وما فيها من كائنات وملكوت.

قال إلياس وهو صاحب فُكاهة:

_ أوتحدثت معها في هذا الموضوع.. أنت تعلم.. حتى لا تتفاجأ وتحسبك مجنوناً؟

ابتسم دانيال ضاحكاً وقال له:

_ نعم! وإن التحدث في هذا الموضوع يزيد الحب والود بيننا أكثر.. وهي تستمع لي وتقول أن هذا الأمر أصلاً له مكان في النفس.. وكأن النفس الإنسانية لها صلة بما نتكلم عنه.. وإن كان معظم الناس عن هذا الأمر غافلون لا يبالون. ومن قبيل هذا أتحدث معها .

قال إلياس وهز رأسه.. وكأنه فهم واستوعب ما قاله دانيال :

_ جميل..

فقال دانيال :

_ أوتظن بأن هذا الأمر مثير للسخرية؟

ردَّ إلياس ضاحكاً:

_ لماذا تتهمني بذلك.. أنا لم أتكلم أصلاً يا رجل؟

فقال دانيال:

_ ولكنَّ ملامحك تُنبئ عن ذلك !

ضحك إلياس وقال له :

_ أنا فقط ألمح لك.. لأنك سوف تجد من يستغرب على انشغالك بهذا الموضوع.

ردَّ عليه دانيال قائلاً:

_ وهل من العيب أن نفكر فيما حولنا وفيما نشأنا ونعيش فيه؟ كلا! فهذا ليس عيباً.. ولكن العيب هو أن لا تفكر فيما حولك.. والعيب هو أن لا تسأل.. أن لا تسأل كيف جاءت

الأشياء التي من حولك.. ما هي؟ لماذا هي موجودة؟ ثم بعد ذلك تبدأ تفكر في نفسك.. كيف أنا موجود؟ إنه أنا.. ما هذا؟ طيب.. ماهذا؟ أريد أن أصرخ من أعماقي.. كيف أنا موجود وما هو السبب؟ إنه أنا.. أريد أنا أعرف بشدة.. هذه ليست نكتة أو مُزاح!

إن العيب يا إلياس؛ هو أن نكون كالـ عُمي.. العيب أن نكون جزء من القطيع.. القطيع الذي لا يرى إلا متطلبات نفسه، ولا يرى إلا ما تحتاجه تلك النفس وكيفية قضاء تلك الاحتياجات.

لكنَّ الأولى والواجب أن نعطي ما نشأنا ونعيش فيه حولنا بعض التفكير، وأن نُـزيح ما قد تراكم على النفس الإنسانية من أغطية مانعة حائلة.. أغطية مانعة حائلة من أمثال السعي وراء الأموال والأبناء والأزواج والبيوت، وكل تلك الأشياء قد حالت بيننا وبين ربطنا مع ما نحياه حقاً ونشأنا فيه.. وكل تلك الأشياء قد تسببت في الغفلة والتلاهي الذي عند أكثر الناس.

استمع إلياس بإنصات إلى دانيال، وظهر أثر الكلام على وجه إلياس.. ثم عمَّ الصمت فترة من الزمن.. ثم قال إلياس:

_ أظن أن علينا أن نذهب؛ لأننا قد تأخرنا كثيراً عن حصة التنس.. ولم تبقى إلا حصة الرماية، ولا أريد أن أفوتها هي الأخرى.

وفي السيارة حيث ذهابهما للنادي؛ قال إلياس:

_ قل لي ! كيف تعرفت على سارة ؟

قال دانيال وإلياس ينظر إليه:

_ جاءني اتصال لتصميم ديكور شقة جديدة.. وكانت هذه الشقة هي شقة سارة.. لكنني كنت مشغولاً جداً؛ فاعتذرت.. ثم حدثت بعض التغيرات في جدول أعمالي؛ فعاودت الاتصال عليها.. وهذا على غير عادتي في معاودة الاتصال بأحد.. ومن المصادفات أنها هي الأخرى لم تكن قد وجدت مصمماً بعد على الرغم من عجلتها؛ فتم ورأيتها.. فأعجبت بها.. ثم بدأت أفكر فيها.. وها أنا ذا ! لعلي أتقدم لخطبتها.

قال إلياس وقد انجذب إلى كلام دانيال:

_ شيء جميل..

وصلا إلى النادي.. وبينما إلياس في حصة الرماية، فقد تأخرا على حصة التنس؛ رأى دانيال عزم إلياس وتركيزه وهو ماسك البندقية يُريد أن يُصيب مركز الهدف بدقة.. فقال له:

_ هل تعلم أن طاقة الإنسان كبيرة جداً.. ولا يستخدم منها إلا عشرة بالمائة عند أقصى الحدود؟

قال إلياس بعد رميته التي كان يصوب لها:

_ أوحقاً ما تقول؟

إلياس يريد أن يمزح مع صاحبه المقرب.. فقال له وأخذ يُعد الرمية التاليه وتفكيره في مكرٍ يجهزه لدنيال :

_ أتريد أن تجرب ؟ _وكانت رمية البندقية تنتج ردة فعل قوية_

فقال دانيال له:

_ دعني أجرب!

وأخذ يعدل في وضعية البندقية يريد أن يرمي ويصيب مركز الهدف، إلياس لا يريد أن يخبره عن ردة الفعل.. فلمَّا قذفها، ومن قوة ردة الفعل فيها؛ أخذ دانيال يدور حول نفسه ثلاثة أربع دورة؛ ثم سقط على الأرض.. فأخذ إلياس يساعده مظهراً المكر الذي مكره له:

_ لا عليك.. ها أنت ذا تُثبت أنك على حق فيما قلت.

لم يتكلم دانيال ولم يُظهر أي علامات اعتراض أو غضب؛ لأن إلياس صاحبه وصديقه المُقرب.. بل إنه أعطى يده لـ إلياس ليساعده في النهوض.. ثم وقف وبدأ ينفض عن نفسه. وعلى ضحكاتهما ومُزحهما معاً؛ انتهت حصة الرماية الخاصة بـ إلياس.. وفي طريقهما ناحية السيارة قال إلياس لدانيال:

_ هل رتبت أمور ليلة خطبتك على ما يرام؟

فنظر إليه دانيال وهو يُجمّع تفكيره وقال :

_ أنت تعلم.. رتبتها.. ولكني لا أبالي كثيراً... فأنت تعلم أنني لا أتحمس أو أتفائل كثيراً للمستقبل أو للأشياء التي خططت لفعلها؛ لأنه لربما رتبت وخططت لشيء ما وتحمست له؛ ثم لم يتم كما خططت له؛ فأصبح مخذولاً ومتضايق لأنه لم يتم كما خططت.

فأخذها إلياس فرصة لكي يلومه ويمزح معه.. فكيف لا يعطي للأمر اكتراثاً أكثر؟ لكن دانيال سرعان ما لاحظه.. فعرف أنه سيلومه.. فقاطعه قائلاً وبداية الضحك على فمه:

_ إلا أنني رتبت الأمر.. ولكن عندما تتم؛ ستراني متحمساً.. حتى كما قلت لك؛ لا أحب أن أكون مخذولاً.

فقال إلياس يومئ برأسه وضاحكاً من عدم ترك دانيال له فرصة لكي يعترض عليه:

_ جيد.. جيد، قد وضحت رؤية جلالتكم.. وفهمت ما ترمون إليه. وبالمناسبة صحيح! هل تعلم أن كلامك هذا يذكرني بالمحترم إسحاق؟

أخذ إلياس يُبدي إعجابه على تشابه أقوال دانيال مع المحترم إسحاق.. والمحترم إسحق؛ هو رجل دين.. ثم قال:

_بالمناسبة! سأذهب إليه اليوم.. فقد عاد من أسفاره.

فقال دانيال :

_ أَوعاد ؟ إنه كثير السفر !

قال إلياس :

_ نعم! إنه يسافر كثيراً يحاول إرشاد وإصلاح بعض رجال الدين ممن لهم مخالفات..

أخذ دانيال يتعجب من كلام إلياس وجمعه بين رجال دين ومخالفات؛ فالأمر لا يستقيم عنده... فكيف يكونوا رجال دين ولهم مخالفات؟ ثم أكمل إلياس قائلاً:

_ هل ستأتي معي؟

نظر دانيال إليه.. ومحاولاً إدراك ما قال.. فمازال العجب يتملكه:

_ بالطبع سوف ءأتي.. فهو رجل هادئ أرتاح له.. له وقار..

وإذا بصوت صرااخ يقطع حديثهما.. يبدو أنه صراخ لطفل صغير آتي من ناحية موقف السيارات.. يهرعان ويسرعان ناحية الصوت والفزع قد تملكهما.. وكانا أول الواصلين إلى مكان الصوت.. فإذا بولد صغير.. ولد صغير قد انحشرت رجله بين إطار السيارة والرصيف.. السيارة بابها مفتوح ويبدو أن الصغير قد نزل منها.. أخذ إلياس يُزيح السيارة محاولاً تحريكها؛ إلا أن صُراخ الصغير يشتد من الألم.. فأخذ دانيال بكتفه قائلاً:

_ فلنبحث على رافعة لنرفع بها السيارة حتى لا يتأذى الصغير.

دخل دانيال إلى السيارة ورفع مكابح اليد.. ثم أسرع ناحية الصغير الذي يُصرخ من الألم والخوف.. نظر دانيال إلى الصغير فتأثر له بشدة.. نظر الصغير إليه على بكاءه ودموعه منهمرة.. أمسك دانيال بعتبة السيارة يحاول رفعها.. وفي هذه الأثناء أتى إلياس برافعة؛ إلا أن السيارة تُرفع من نفسها! فقد رفعها دانيال بيده العارية.. وقد فعل ذلك بعدما تأثر كثيراً جداً لبكاء الطفل الصغير.. فحاول بكل الطرق أن يُنهي ألمه.. نظر إلياس إلى دانيال وعيناه

مفتوحة متسعة وقد عاد مذهولاً على كيفية رفع دانيال السيارة لوحده! يشير دانيال بصعوبة إلى إلياس ويُومئ إليه بأن يُحرك الطفل الصغير ويجذبه بعيداً عن السيارة.

وبالفعل جذبه إلياس بعيداً وأخذه في حجره وبدأ يربت على كتفه وقد بدأ الناس يجتمعون.. ثم تأتي امرأة حامل على لهفة وكرب فتأخذ تحضن الطفل.. ويبدو أنه صغيرها.. ثم قالت باكية والكرب بادٍ عليها:

_ انا آسفة يا قلب أمك ! أمك آسفة.. _بدأ الصغير روعه في الهدوء، وقلَّ صراخه.. ويأتي صوت من خلال الحلقة المجتمعة قائلاً:

_ دعوني أراه ! أنا طبيب.

سحب دانيال ذراع إلياس مشيراً إليه بالذهاب.

* * *

الفصل الثاني

هدوءٌ وصمت.. يقطعهما صوت ترتيل خافت له نغمة.. صوت متقطع.. يُعاد ويُكرر.. يأتي هذا الصوت من رجل جالس على سجادة وباسط كفه الأيمن فوق الأيسر في حجره.. أمامه كتاب ويبدو أنه التوراة.. الكتاب على مسند يتلو منه.. هذا الرجل منشغل له تركيز بما هو فيه. وإذا بصوت طرق على باب يُشوش على هذا الجمال والتجلي! انتبه الرجل ومازال تركيزه متجهاً نحو ما كان يقرأه.. انتبه الرجل فوقف مجيباً وظاهر عليه الوقار والجلال.. فتح الباب فإذا بإلياس ودانيال أمام الباب... سبق إلياس بالترحيب ومبتسماً قال:

_ الحمد لله على سلامتك أيها المحترم.

قال المحترم والتبسم يتملك كل وجهه :

_ إلياس ! _فرحاً برؤيته_ كيف حالك أيها الأخ الحبيب؟

تبسم له إلياس وأخذ يُسلم عليه.. ثم نظر المحترم إلى دانيال يتذكره، ثم قال متسائلاً:

_ دانيال ؟

ردَّ دانيال مبتسماً:

_ نعم يا سيِّدي !

يظهر على وجه المحترم إسحاق الفرح والسعادة برؤيتهما.. فقال لهما مشيراً بالدخلو بعد أن سلَّم عليهما:

_ تفضلا ! _ وأخذ بأيديهما_ كيف هي حالكما ؟ اجلسا.. تفضلا.. كيف هي الحال؟ الحمد لله على سلامتكما!

أجابا معاً :

_ في أحسن حال أيها المحترم.. ويسعدنا كثيراً رؤيتك.

فقال المحترم:

_الحمد لله.. وأنا يُسعدني كثيراً أن أراكما. _ثم ذهب يحضر مشروباً وشيء يُأكل_

إلياس أخذ يجول في المكان.. ودانيال جالس في مكانه وقد أخذه التفكير والحيرة مرة أخرى في أمر هذه الحياة.. كيف هي ولماذا؟ وما هذا يا تُرى الذي من حولنا؟ ثم نظر إلى إلياس وفي تجواله في المكان، وإلى ذهاب القس إسحق لإحضار ما يُكرم به أضيافه، وفي سرِّه... في سريرة نفسه أخذ دانيال يقول :

_ ما بال إلياس.. ألا يعبأ بالأمر الذي كنا نتحدث فيه ؟

أخذ ينظر حوله والحيرة تكاد أن تقتله... ثم قال:

_ما هذا.. يكاد عقلي أن يُشتت؟ ما بال المحترم إسحاق.. لماذا يبدو عليه أنه لا يُبالي لأمر هذه الحياة؟ ما بال الناس لا تعبأ أو تهتم أو تفكر في أمر هذه الحياة التي من حولنا؟ وما بالي أنا لا أستطيع أن أجد إجابة.. وكأنها لغز أو أحجية من أصعب الأحاجي؟ كل ما أملكه هو أن

أتعجب وأتسائل فقط.. وهكذا أنا مُتخبط.. لا طرف للخيط.. عجباً! فهذا ما أملكه.. حتى إن تعجبي هذا لا يكاد يتم، فما زال ينقطع بأشياء تشغلني عنه، أو ينقطع دون انشغالي بشيء؛ فأصير بلا رابط يربطني مع ما حولي.

نظر إلياس إلى دانيال.. فعرف أنه في حالة الحيرة والتساؤل تلك.. قاطعهما المحترم إسحاق قائلاً ومعه مشروب وشيء يُأكل:

_ مرحباً بكما.. تفضلا.. تفضلا !

وأشار بيده أن يجتمعا، وأعطى كلاً منهما مشروباً. أخذ دانيال ما أعطاه إياه المحترم.. ثم رجع بظهره وأسنده بالمقعد وقال ناظراً إلى ما بيده:

_ أيها المحترم ! إن بي حيرة.. _سكت قليلاً فلا يستصيغ لفظة الحيرة_ بل هو تعجب أيها المحترم.. ما هذا الذي حولنا؟ يكاد عقلي أن يُشتت.. ما هذا؟ شيءٌ عجيب! أنا.. أنت.. إلياس.. وعالم نشأنا فيه ونعيش فيه.. ما هذا؟

قالها وأخذته لحظة ذهول.. ويبدو أن اندماجه في التفكير زاد عليه.. فأخذ يُردد:

_ ما هذا ؟!

استمع المحترم له بإنصات.. ثم تكلم غير ممهل.. وكأنه اندمج مع دانيال في حيرته وتعجبه عن أمر كونهم وأمر هذه الحياة.. قال المحترم:

_ هل ترى السماء ؟ _وأشار بيده_ هي طبقات.. بضعة طبقات فوق بعضها.. بها ما بها من الاتساع الشيء العظيم.. وكل طبقة من هذه الطبقات تكاد أن تتمزق وتتفطر من شدة ما تجده

من شعور بوجودها وعظيم خلقها. كل طبقة كما قلت لك؛ تكاد أن تتفطر وتتمزق وتتشتت من فوق الأخرى.. السماء _يتكلم المحترم وعيناه مفتوحة لا تطرف_ تكاد أن لا تتحمل ذلك الشعور.. تكاد أن تتفطر وتتمزق من فرط العظمة.. ما هذا؟!

ما في السماء من امتداد وعِظم.. وما تحتوي من أشياء _المحترم يفند أصابع يده ويسند أطرافها على جبهته من شدة ذهوله واندماجه_ تكاد أن تتمزق من شدة العظمة.. ما هذا؟ ولولا أن الله يمسكها ويثبتها _هنا انتبه دانيال وثبّت نظره تجاه المحترم_ لتمزقت وتبعثرت ثم انتهت من فرط العظمة!

يا دانيال ! إن الناس لا يمشون إلا في رؤسهم.. ولا يمشون إلا نحو إرضاء أنفسهم.. نسوا أنفسهم.. كيف جاءوا؟ كيف هم هم؟ لا وعي ولا محاولة للوعي والإدراك.. فقط غفلة مطبقة.

قال دانيال والانتباه للمحترم يتملكه:

_ إذاً.. ماذا في الأمر أيها المحترم ؟

قال المحترم:

_اعلم يا دانيال! أن الله هو الذي خلقك.. وهو الذي أوجد نفسك وجعلها.. وهو خالق السماء والأرض وما فيهما من أصغر شيء إلى أكبره.. من الذرة وما بداخلها إلى أكبر ما في الوجود.. وهو خالق آباءك وأجدادك وموجدهم.. وهو الذي أعطى لكل شيء صورته وشكله وعرّفه وهداه إلى فعل ما يفعله.. هو الذي جعل على الأرض كل ما تراه أمام عينك..

وفعل كل هذا لكي يختبرك ويبلوك وينظر إلى أفعالك وكيف هو إيمانك وأنت لا تراه.. إلا أنه رغم كل تلك الفتن والمشاغل التي على الأرض؛ فإنه قد خلقك على أن تعرفه وعلى أن تعبده.. خلقك على أن تعرفه وتعبده رغم كل شيء موجود على الأرض، فلا يُلهيك شيئ مما هو موجود على تلك الأرض في أن تنسى أنك وما تجده حولك؛ ما أنتم جميعاً إلا خلق الله. والدليل على صدق ما أقوله لك؛ هو ما أنت فيه الآن من الشعور بالحيرة والتعجب والتساؤل.. تُريد أن تجد طريقاً تعرف به كل شيء عنك وعن كل شيء حولك.

قال دانيال والهول والذهول بادٍ على وجهه:

_ إذاً أنت تقول بأن هناك أحد قد خلقني عن عمد وقصد؟

أجاب المحترم:

_نعم ! هناك من خلقك وتعمد وقصد ذلك.. تعمد وقصد أن يخلقك في هذه الحياة لينظر كيف تعمل فيها.. وجعل لك كل الاختيار في أن تفعل ما تشاء.. تفعل أي شيء تريده حتى يأتي يوم القيامة؛ فتُحاسب على مافعلته في هذه الحياة.. فيجزيك على ما كنت تفعل من الأفعال والأعمال الصالحة الحسنة بما لا يخطر لك على بالٍ مما قد أعده لك.. ومن ثم يعفو عما بدر منك من سيئات وذنوب.. ولكي تعرف مقدار ما أعده لك من الأجر على أعمالك الصالحة؛ انظر إلى الطيبات والرزق الموجود في هذه الحياة! فإن هذه الطيبات يوم القيامة؛ تكون خالصة بلا شائبة.. بلا شائبة عطاءً من الله للذين يؤمنون به حساباً منه لهم.

دانيال يستمع ولا يكاد يُصدق بأن الحيرة والعجب والتسأول الذي كان يشعر به بدأ ينكشف عنده، وبدأت الأمور تتضح.. فقال:

_ أوحقاً ما تقول ؟

قال المحترم والصدق يجري على لسانه:

_ نعم هو حق! وإن في الناس لفريق لا يُصدق ذلك ولا يُريد أن يُصدق.. فريق غافل قد فتنته هذه الحياة وغرته.. فريق غافل تقول لهم إن الله هو ربهم، وهو ربُّ السماء والأرض، وهو ربُّ كل شيء بينهما.. فالتزموا الأفعال الحسنة ولا تفعلوا الأفعال السيئة؛ فإذا قلت لهم ذلك؛ وجدتهم يقولون لك بأن تدع عنك هذا الـمُزاح! كيف هناك ربٌّ وخالق للسماء والأرض؟ جميلة حكايات الجدود هذه عندما تستمع لها. ثم ترى هذا الفريق قد استمعوا إليك وكأنهم لم يسمعوا شيئاً قلته.. وغير ذلك أنك تراهم يجحدون الناصح ويؤذونه ويشتمونه.. ثم يرجعون إلى حياتهم ومشاغلهم وكأن شيئاً لم يحدث.. فإن أولئك الفريق هم الخاسرون يوم القيامة.. وحساب أولئك الخاسرين على الله أيضاً.

قال دانيال:

_ ولماذا يفعلون ذلك؟

أجاب المحترم:

_لأن هؤلاء الناس قد لهتهم وغرتهم الحياة بما فيها.. فاقترفوا الأفعال السيئة واعتادوا عليها.. وحسبوا أنهم هكذا يفعلون أحسن الأعمال صنعاً. وحسبوا أنما هذه الحياة شيء بلا معنى.. وأن الأمر هو هكذا سائر.. لا أكثر ولا أقل.. وأنه لا إيمان ولا امتثال لنصيحة من أحد.. فغير الغفلة والضلال لا يُطاق مهما كان.. وما لغير الغفلة والضلال من إيمان أو امتثال.. وما لغير

الغفلة والضلال إلا الجحود والنسيان.. وذهاب البصر أحب من اتباع غيرهما.. فما السبيل إلا ما يرون.

دخل إلياس في الحوار فقال:

_ وكيف يرضى الناس بتلك الغفلة ؟ وكيف تستوي عندهم هي والهدى والرشاد؟

أجاب المحترم:

_ هكذا هي الحال عند الغافلين.. الغافلين الذين نسوا أنفسهم ونسوا ما حولهم من أشكال الحيوة.. فصار كل خير وهدى عندهم كذب.. وكل شيء عندهم ضلال مبين.. كل شيء ضلال وكذب إلا الغفلة وفعل والسوء. وإذا ما حاول أحد أن ينصحهم وينهاهم ويدعهم إلى الخير والإيمان؛ فما هو إلا ضال كذاب قد افترى الكذب وتفنن في إخراجه، فلم يعد للهدى والرشاد مكان عندهم.. ولكن الذي له مكان عندهم حقاً؛ هي الغفلة وفعل السوء.

قال إلياس:

_ ولماذا يتركهم الله هكذا يفسدون في الأرض.. أم أنه ليس له قدرة عليهم ؟

أجاب المحترم وقد اتجه بنظره إليه:

_ بل هو القادر على أن يُخرج عليهم ألوان العذاب من الأرض تحت أرجلهم أو من السماء من فوق رؤسهم! وما كان الله ليذر الناس أن يفعلوا الباطل والسوء أو أن يُحدثوه؛ لولا أن هناك يوم قيامة.. يوم حساب مُرجَون إليه. يومٌ عقيم قادم لا شبيه له ولا مثيل.. سيرحم الله حينها الكثير الناس.. وسينتقم انتقاماً شديد الرعب من المفسدين الظالمين.

والويل كل الويل لمن جاوزته رحمة الله ولم يدخلها رغم أنها قد وسعت كل شيء! الويل له بسبب ما قد ظنه من الظنون الكاذبة.. الويل له بسبب ما قاله من كذب في أمر هذه الحياة وما قد قدَّره لها وأشاعه عنها وأقره لها بافتراءه وكذبه! الويل لمن تسبب في زيادة غفلة الناس وترسيخ أقدامهم أكثر في الفساد والظلم.. الويل كل الويل حقاً له!

واعلم يا دانيال أنت وإلياس! أنه ما كان لله أن يترك من دآبة على وجه الأرض بسبب الظلم؛ لولا يوم القيامة ذاك.

قال إلياس وقد اتسعت عيناه:

_ وكيف سيكون العذاب في يوم القيامة ؟

ردَّ المحترم:

_إذا بدا ما قد أُعد من العذاب؛ رأيت الغلام الصغير يشيب شعر رأسه من الفزع والهول.. يشيب شعره إذا قيل العذاب والسعير قد بدأ.. يشيب هر رأسه إذا قيل أخرجوا للنار من بين كل ألف؛ واحداً للـ "جنة" وباقي الألف في النار.. ألقوهم في أشد العذاب!

ويوم القيامة أيضاً؛ ترى كيف هي رحمة الله في مغفرته وعفوه عن الناس.. تراها فتحسب أن ما هناك من عذاب.. تراها فتعلم حقاً أن الله خلق السماء والأرض بالحق ولينظر كيف سيعمل الناس فيما خلقهم فيه.. فيجزيهم بأحسن الأعمال التي قد صنعوها.. ويتجاوز عن ما بدا منهم من السيئات.. ولكي تعرف مقدار رحمته يوم القيامة؛ انظر إلى رحمته في الدنيا للناس! وكيف أنه صابر عليهم ورحيم؛ لعلهم يرجعون ويتوبون.

عمَّ الصمت قليلاً في المكان.. ثم قال دانيال بعدما شدَّه كلام المحترم:

_ أخبرني أكثر عن الله !

قال المحترم:

_ في كل أمرك وشأنك؛ يكون هو معك... ويكون عليك شاهد ويسمعك.. هو الله القائم على كل أحد وكل نفس.. يراى ويسمع كل واحد. وهو القائم الشاهد على حركة الذرة وما بداخلها لا تعزب عنه ولا تغيب.. وهو أيضاً القائم الشاهد على حركة المجرة ويعلمها فلا تعزب عنه ولا تغيب.. قائم وشاهد على ما في السموات والأرض ويعلم ما فيهما.. لا يعزب ولا يغيب عنه شيء مما في هذا الكون.

كل ما ترى وما لا ترى هو الذي خلقه وأعطه ما لديه من صفات وخلق وميزه عن باقي المخلوقات.. كل ما ترى وما لا ترى لم يكن له وجود؛ إلا حينما أوجده هو.. وهو الذي هدى كل شيء وعّرفه كيف يتحرك ويفعل ما يفعله ويَسره لذلك كله.

كرسيه تعالى وسع السموات والأرض.. يسمعنا الآن ويرنا.. يمسك السموات والأرض من أن تزولا فلا يبقى من معالمها شيء.. وأنه لا يُبقي السموات والأرض على حالتها تلك؛ إلا هو سبحانه.. فهو الذي يمسكها.

هو ظاهر فلا شيء ظاهر مثله من شدة ظهوره.. وهو باطن لا شيء أبطن وأشد خفاءً منه.

قاطعه دانيال قائلاً :

_ وكيف هو ظاهر ولا أحد يراه؟

أجابه المحترم والوقار ظاهر على وجهه والعلم ينسكب من فمه:
_ وأنـَّي للناس أن يروه وهم لا يمشون إلا في رؤوسهم؟ فهم لا يستخدمون أبصارهم أو آذانهم إلا ليزدادوا انغماساً في ما هم فيه من الغفلة والتلاهي وتُوَثق أرجلهم وتتوغل في رؤوسهم أكثر فأكثر.

والله هو الذي خلقك مما تعلم _حرك المحترم إصبعيه على بعضهما.. أي من نطفة ومن مني.. من ماء الرجل وماء المرأة_ ذلك هو ربي وربك وربُّ كل شيء فاعبده!

وهو الذي يطعمك ويسقيك بلطفه فلا تشعر أن أحداً يُسقيك أو يُطعمك.. كل شيء في السموات والأرض ملكه.. بمعنى أن كل شيء ملكه! ترجع إليه أمور كل شيء.. بمعنى أنه ترجع إليه أمور كل شيء!
إذا مرضت فلا شافي لك إلا هو بلطفه فلا تشعر أن أحداً شفاك.. فذلك هو الله ربُّ كل شيء فاعبده!

* * *

الفصل الثالث

دانيال مستلقٍ على فراشه لا يتحرك.. فقط تفكير وربط ما لديه من شعور الحيرة والتساؤل مع ما قد سمعه من المحترم إسحاق.. لا إجابة على هاتف ولا رؤية لأحد.. على فراشه وعيناه مفتوحة.. تركييز. نام أو استيقظ فهو على تلك الحالة.. لا أحد يعرف إن كان في المنزل أم لا.. تأتي سارة وتطرق الباب دون فائدة.. وتطلب الهاتف ولا ردّ.. أتى إلياس دون فائدة.. أوشك أن يكسر الباب؛ فيسمع صوت ما بالداخل؛ فيُحبط عن كسره فيتركه كما يشاء قليلاً.

دانيال على تلك الحالة لأيام.. أتى إلياس فتحدث إليه من خلف الباب فقال:
_ عليك أن تتوقف عن ذلك! من أجل سارة فقد تأذت كثيراً.. لن أزيد عليك أكثر من ذلك.

سمع دانيال تلك المحادثة؛ إلا أنه يكاد يغيب عمّا حوله. وفي الصباح التالي وعلى غير العادة؛ يستحم ويتطيب ولا تركيز في أفعاله.. إفطار وحالة من حالات الاندماج شبه التام.. أخبر سارة بأنه سيَمر عليها في بيتها. وصل إلى بيت سارة ونزل من السيارة وفي يده باقة ورد ومازال في حالة اندماجه تلك.. صعد إلى شقتها.. وما إن وصل إلى باب الشقة حتى لاحظ أن رُباط حذاءه محلول.. فأخذ يربطه وأسند باقة الورد إلى الحائط.. أسند باقة الورد إلى الحائط وأخذ في ربط الحذاء.. إلا أن باب الشقة المقابلة لشقة سارة غير تام الإغلاق.. أخذه بصره على غير قصد منه لينظر داخل تلك الشقة؛ فرأى شيء أفجعه؛ فجعله يصدر صوت التقيء.. وضع يده على فمه واتسعت عيناه ورجع إلى الوراء مصطدماً بشقة سارة. كان هناك اثنين من سكان الشقة المقابلة بداخلها؛ فسمعا صوتاً آتٍ من الخارج.. فلاحظا أن الباب مازال مفتوحاً

مُنذ أن دخلا.. أتى أحدهما ليغلق الباب ونظر إلى دانيال؛ فازداد الإعياء عليه.. أغلق الباب ثم أخذ دانيال في التقيء.. لقد رأى رجلان لواطيان يأتى أحدهم الآخر!

جاءت دانيال حالة من الذهول، وصارت عينه مفتوحة بشدة ولا رؤية للعين بعد تلك الحالة إلا التي نشأ الذهول بسببها.. وجاءه هيجان في المعدة. فتحت سارة باب شقتها بعدما سمعت صوتاً بالخارج.. فرأت باقة من الورد مسندة على الحائط.. ظهرت عليها غرابة؛ فباقة الورد هذه كالتي يأتي بها دانيال.. تأخذها رأسها فتنظر عن جانبها؛ فترى دانيال على حالته تلك وساناداً يده على الحائط ووجهه إلى الأرض وكأنه يتقيئ.. فقالت مفزوعة:

_دانيال... ما بك؟!

ثم مشت نحوه ووضعت يدها على كتفه؛ فانقبض جسده، ونظر إليها بعينه المفتوحة؛ فتهيج معدته وتتقلب أكثر.. مشى نازلاً ولا دراية له إلا حالة الذهول تلك.. فلا معنى عنده لتكليم سارة له.

خرج من المبنى يمشي بعيداً حتى أخذته قدمه إلى أن وصل إلى مكان ما.. فدخل وجلس على أحد المقاعد في هذا المكان ومازال نظره إلى الأرض. كان هناك تجمع من الناس في هذا المكان.. يبدو أنه حفل زفاف.. أناس جالسون وءاخرون واقفون في الأمام.. المشهد في محيط بصره ليس إلا؛ فلا اهتمام ولا مبالاة.. ومازلا نظره إلى الأرض؛ فسمع كلام يقال ولا قصد في أن يسمعه:

_ الآن أعلنكما زوجان!

تحرك الشخص الأول ويبدو أنه العريس.. وآخر واقفاً أمام الأول ولابساً هو الآخر بذلة!
بدأ دانيال وكأنه يركب ويرتب بعض المشاهد التي رآها على بعض.. فقد رأى أن الشخص الأول بدأ في تقبيل الشخص الآخر والواقفون مبتسمون؛ إلا أن الشخصان ما هما إلا رجلان.. فصاح دانيال بهم صياح المستيقظ الذي رأى مشاهد الأحلام.. إلا أنه لا يعلم بشيء من مثل ما يرى حتى يحلم به.. إلا أن ما يراه الآن هو من أشباه الأحلام؛ فمقومات الحلم وشروطه قائمة موجودة.. بعض الناس مجتمعون في كنيسة لحضور زواج رجلين على بعضهما.. ما هذا الذي يراه؟ لا يدري.. فصاح بهم قائلاً:
_ هاآآآي ! ما الذي تفعلونه؟!

نظروا إليه جميعاً... ونظر إليه الرجلان نظرة من انتبه لصوتٍ كاسر حالة هدوء، وعندهما حالة من اللامبالاة غريبة.. أسند أحدهما يده بكتف الآخر يجنبه.. وبدأ دانيال في التقيئ بشدة.

المصادفة التي حدثت؛ هي أن المحترم إسحاق كان هناك فرأى ما حدث.. ثم أقبل مسرعاً نحو دانيال الذي بدأ يغيب عن الوعي.

* * *

الفصل الرابع

بدأ دانيال يفيق على سرير وقد جنَّ الليل.. سمع صوت مياه متدفقة.. بدأ يُجمع؛ فعرف أنه في مشفي.. ثبَّت نظره أمامه وبدأت الذاكرة كأنها تنبهه؛ فأخذ في التذكر..

تذكر ما كان يفكر فيه قبل أن يذهب إلى سارة.. وتذكر ما رآه بعد أن ذهب إليها.. تتكون ملامح إعياء وصدٌّ على وجهه؛ فيحدّ عينيه لا يستصيغ أيـاً مما رأى ولا يقبله. وبعد هنيهة؛ أحس بصوت فتح باب.. يبدو أنه باب المرحاض الذي في الغرفة ويظهر أنها سارة.. نظر إليها فتنظر إليه مبتسمة؛ فأخذ يظهر تبسم.. ثم قالت له:

_ كيف حالك؟ إني أفتقدك... _وأخذت تنظر إليه_

وبلطف يحاول الرد عليها.. قال:

_ كيف حالك أنت ؟

وحاول أن يبتعد بعينيه؛ فما زالت رؤيته مشوبة بما حدث. قالت سارة ومازالت ناظرة إليه:

_ علمت بما حدث.. فقد أخبرني المحترم إسحاق.. إلا أنني أخبرته بسبق حالتك عندما كنت عندي.. _ ثم أشارت بيدها ناحية المحترم إسحاق.. وكان واقفاً خارج الغرفة يتحدث مع أحد ما_

دخل المحترم ومبتسماً إلى دانيال قال:

_ كيف هي حالك ؟

أجاب دانيال قائلاً:

_ بخير.... شكراً جزيلاً على اهتمامك أيها المحترم.

كل ذلك وسارة تنظر إلى دانيال.. فوقع دانيال بنظره على عينيها ولكن سرعان ما حال به؛ فما زال الإعياء والغثيان يتمالكه.. غير أن سارة ما زالت تنظر إليه.. ثم مشت ناحيته وقالت:

_ الطبيب قال أنك لربما خرجت في الصباح.._أخذ المحترم بجانبٍ ناحية النافذة_ سأرحل الآن وأراك في الصباح .. اتفقنا؟

قال دانيال:

_ اتفقنا.. مع السلامة... _ لم يكد يسكت حتى قال في استغراب:

_ وهل سترحلين منفردة؟

فنظرت في مودة والضحكة مرتسمة على وجهها قائلة:

_ لا ! صديقتي لربما وصلت الآن أمام المدخل لتُقِلني.. _ومازالت ناظرة إليه_ هل تُريد شيئاً مني؟

ردَّ دانيال عليها مبتسماً:

_أراكِ في الغد!

وعند الباب وعيناها مازالت على دانيال قالت:

_إلى اللقاء أيها المحترم!

فانتبه المحترم ومديراً رأسه نحوها قائلاً:

_ مع السلامة.. _ ثم حال ببصره جانباً_

عمَّ الصمت قليلاً.. المحترم وجهه أمامه من خلال النافذة، ودانيال نبهته كآبة باقية؛ فأخذته.. ومازال ناظراً من النافذة؛ قال المحترم :

_ أترى حينما يكون الإنسان مقتنعاً بشيء كيف يفعل؟

نظر إليه دانيال محاولاً أن يعرف عماذا يتحدث المحترم.. فقال المحترم موضحاً:

_ ما رأيته من زواج اللواطيين !

قال دانيال مستغرباً والإعياء والغثيان باد عليه:

_ مقتنعاً بماذا ؟ ثم هو كيف اقتنع أصلاً ؟ _صمت دانيال وأخذ في بلع لعابه_ ما هذا الذي نتحدث فيه؟

نظر المحترم إلى دانيال وبعد هنيهة قال له:

_ أترى ما رأيت يحدث من أفعال اللواط، ومن رأيتهم يفعلون ما يفعلون؛ أترى كل ذلك يحدث؛ لولا وجود سبب قوي جعلهم يفعلون كل تلك الأفعال، والتي هي أشد الأفعال فُحشاً وشناعة؟

قال المحترم يوضح أكثر:

_ ما كان لكل ذلك أن يحدث؛ لولا أنهم مربوطين فكرياً وجسدياً.. ولولا هذا؛ ما فعلوه.

أغمض دانيال عينه.. وأسند ذقنه إلى صدره وكأن الامر قد ثَقُل عليه.. ثم قال:

_ يبدو أنهم مربوطين بقيدٍ عظيم.. قيد عظيم قد أنساهم أنفسهم فلا إدراك لهم من هم.. ويبدو أن معظم محاولات فك ذاك القيد فاشلة.

يضغط على فكيه وكأن الأفكار تتوارد عليه من كل جانب.. ثم أمسك بسلة بجانب السرير آخذاً في التقيئ.. ثم مشى إلى المرحاض، وبعد فترة خرج ووضع السلة مكانها، وقال للمحترم:

_ كيف حال المحترم إسحاق ؟

المحترم ينظر إليه ثم أخذ يضحك منه؛ إلا أن الحالة العامة مسيطرة.. سكت المحترم هنيهة ثم قال:

_ السبب الذي يجعل من أمر اللواط أمراً عصيباً؛ هو أنه يأتي لأحدهم في تركيبة من تركيبات المشاعر والأحاسيس.. تركيبة يشعرون فيها بأن اللواط أصل فيهم لا يفارقهم.. وعندما تتملك تلك التركيبة منهم؛ فإنها تُغطي وتمحي أي تنبيه وتذكير يُـذَكر أؤلئك اللواطين بأنفسهم.

قال دانيال:

_ أكاد لا أقبل هذا الحديث والخوض فيه من غرابته وعدم موافقته مع ما هو طبيعي.. ولكني رأيت ما رأيت، وسمعت ما سمعت؛ فحطت على صدري ظلمة وضيق.. ما هذا التوهان الذي رأيته؟ _ ظاهر على وجهه ملامح الضيق وعدم القبول_

فقال المحترم مردداً :

_ إنه لتوهان !

عمَّ السكوت قليلاً في الغرفة.. وقطع هذا السكوت؛ صوت طرق على باب الغرفة.. ويظهر أن الطارق؛ هو أحد الأطباء من معارف المحترم إسحاق.. انتبه المحترم له؛ فمشى ناحية الباب قائلاً:

_ تفضل أيها الطبيب يحيى.. كيف حالك ؟ _ومدَّ يده يُسلم عليه_ أعرفك بدانيال!

قال دانيال مبتسماً ومدَّ يده يصافحه:

_ أهلاً بالطبيب يحيى... كيف هي حالك؟

ردَّ الطبيب يحيى :

_ أهلاً سيد دانيال.. أتمنى لك الشفاء العاجل!

قال دانيال:

_ شكراً جزيلاً أيها الفاضل.. وأهلاً بك.

قال المحترم إسحاق وتنبع من وجهه النضارة:

_ ماهي أخبار والدك ؟

ردَّ عليه الطبيب يحيى بتبسم:

_ بخير أيها المحترم والحمد لله.. وهو دائم السؤال عنك.. وهو الآن هنا في المشفي للعلاج.. وقد عَلم بوجودك وينتظر منك أن يُسلم عليك قبل أن يغادر.

قال المحترم:

_ أصحيح هو هنا.. أنت لم تخبرني إلا الآن!

ابتسم الطبيب يحيى؛ فهو يعلم أن المحترم مشغول جداً.. لكن المحترم نفسه لا يبالي بما يشغله.. فها هو قد صاحب دانيال إلى المشفى، وغير ذلك الكثير من الأمور والواجبات.. ولكن كل ذلك لا يشغله.. ثم أجاب الطبيب يحيى:

_ هو ينتظرك الآن بالأسفل أيها المحترم.. _وأشار بيده من أجل الذهاب...

قال المحترم:

_ أجل هيا بنا.. أستئذنك يا دانيال!

أجاب دانيال وليس على خاطره هذا الإستئذان؛ فليست المحادثة التي جرت بين المحترم والطبيب يحيى إلا من قبيل الكلام المسموع لديه.. فقال مادا كفه للأمام ومُقدر الأدب الجم الذي يُظهره المحترم:

_ نعم.. نعم ! تفضلا..

نظر الطبيب يحيى إلى دانيال قائلاً:

_ تشرفنا بمعرفتك يا دانيال.

ردَّ دانيال :

_ الشرف لنا أيها الطبيب يحيى _وصافحه_.. مع السلامة.

نظر دانيال من النافذة.. وكانت توجد حديقة أمام ذلك المشفي الذي هو فيه.. نظر إلى تلك الحديقة وبه ذلك الصمت الذي يأتي بعد كل محادثة.. حيث لا رُسُو في التفكير.. فحاول تجميع فيما كان يفكر؛ إلا أن عدم المبالة يغلبه.

* * *

الفصل الخامس

ألقى المحترم إسحاق التحية على أحد الجالسين في صالة الانتظار قائلاً:

_ مرحباً سيد يعقوب!

استند الرجل واقفاً.. وأخذ يُدير نفسه لكي يُسلم على المحترم:

_ كيف حالك أيها المحترم إسحاق؟

قال المحترم مبتسماً :

_ بخيرٍ أيها الرجل الطيب.. كيف هي حالك أنت؟

قال السيد يعقوب مبتسماً.. ويبدو أنه يُكِن الكثير من التقدير للمحترم:

_ بخير أيها الرجل الصالح.

وأخذ المحترم بيده يجلسان.. ثم قال المحترم:

_ كيف هي حالك سيد يعقوب؟

ردَّ الرجل المسن قائلاً :

_ بخير أيها المحترم.. ولكن كما ترى.. لقد كبرت.. وأصبح الموت أقرب شيء لي، وإني خائف مما فعلت في حياتي من الذنوب.. ولا أدري ما الذي سيُفعل بي من جرآء ذلك..

وظهر الأسى والحزن على وجهه السيد يعقوب.. فقال المحترم له:

_ كل ما عليك فعله؛ هو أن تطلب العفو من الله، وأن يغفر لك ذنوبك سيد يعقوب!

قال السيد يعقوب:

_ إني استغفره.. إلا أنني ما زلت خائفاً.

قال المحترم يُسكِّنه ويُخفف عنه.. ووضع يداه على يده:

_ مما تخاف ؟ إن الله يغفر الذنوب جميعاً.. وما عليك أن تحزن لخوفك هذا.. بل هو خير لك.. اجعل خوفك هذا سبباً يزيدك في الاستغفار.. وها أنت ذا قد علمت أن الله يغفر الذنوب جميعاً؛ فاجعل خوفك هذا مزيداً لك في الاستغفار.

قال الرجل وبدا عليه انشغاله بم يهمه:

_ أستغفر الله.. أستغفر الله.

قال المحترم ناظراً إليه ومُمعناً النظر في عينيه:

_ أتعرف سيد يعقوب! أنه لمَّا يُذنب عبد ذنب.. فيقول أستغفر الله.. يقول الله تعالى: أوعلم عبدي.. أن له رباً.. _وكان المحترم يقطع ما بين الكلمتين من اندماجه وإفهامه لما يريد أن يقوله_ يغفر الذنوب.. ويأخذ ويُحاسب بها؟ غفرت لعبدي. وبعد حين؛ أذنب هذا الشخص ذنباً آخر.. فقال ربي اغفر لي! فيقول الله تعالى: أوعلم عبدي.. أن له رباً.. يغفر الذنوب.. ويأخذ بها؟ غفرت لعبدي. وبعد حين أذنب هذا الشخص أيضاً ذنباً آخر.. فقال

ربي اغفر لي! فيقول الله تعالى: أوعلم عبدي.. أن له رباً.. يغفر الذنوب.. ويأخذ بها؟ غفرت لعبدي فليفعل عبدي ما شاء!

وعلى استماع الرجل بإنصات منه شديد؛ أكمل المحترم قائلاً بعد أن سكت هُنيهة:
_ وما دمت يا سيد يعقوب مستغفراً؛ فإنك تجد أن صدرك منشرحاً.. ولكن الهم والحزن كل الحزن أن تُذنب ذنباً ولا تستغفر الله بعده.. فهذا هو الحزن والهم حقاً.. فالله خلقنا نذنب فنستغفره فيغفر لنا.. فالحزن والهم يا سيد يعقوب أن تذنب ولا تستغفر.. وواجب عليك أن تحزن ويُصيبك الهم؛ إذا ما أذنبت ولم تستغفر الله ونسيت أن تستغفر.

قال السيد يعقوب وعينه إلى الأرض:
_ أستغفر الله.. أستغفر الله ربي.

في هذه الأثناء؛ لمح المحترمُ دانيالَ خارجاً من باب المشفي.. فوقف وأخذ يتابعه ببصره؛ فلاحظه يعبر الشارع.. وبدا له أنه ذاهب للحديقة الواقعة أمام المشفى. جلس المحترم ودون كلام؛ أخذ يُفكر في دانيال وخروجه للحديقة.. ثم نظر ناحية السيد يعقوب وقال:
_ فالحز..

_ أما زلتم موجودين وتتكلمون ؟ ألا تستحون من أنفسكم ؟ _أحد الجالسين قاطع المحترم إسحق.. ويبدو أنه استمع لما جرى من كلام بين المحترم والسيد يعقوب_

نظر المحترم إليه ومحاولاً الاستيعاب.. قال:

_ استسمحك عذراً !

قال هذا الرجل، ويظهر عليه من خلال هذه الضمادة التي على يده أن به جرح بسيط وقد أتى للعلاج:

_ ألا تنتهون أيها الناس وتخلعوا عنكم هذه الأفكار التي تخدعون بها الناس؟ استغفار ماذا وأي ربٍّ هذا الذي تتكلم عنه؟

أجاب المحترم.. ويا للإشراق على وجهه وبشاشته.. قال :

_ أوتعني كيف أني أحدثه عن عدم خوفه وأنه يطمئن مادام مستغفراً.. وأن خوفه ذاك يستدعيه لمزيد من الاستغفار لذنوبه.. أعن هذا تتكلم؟

ابتسم وكأنه ساخراً قال الرجل :

_ أتصدق ما تقول فعلاً ؟

ردَّ المحترم غير منتظر تحمية هذا الشخص للنقاش ومحاولته إظهار بطلان الإيمان.. فقد فهم المحترم مقولته.. وعرف أنه أحد الملحدين المجادلين.. فقال المحترم:

_ أصدقه صدقي بأنَّـا.. أنا وأنت موجودون ونتحدث الآن !

فالرجل يخبرني أنه يشعر بأنه قد اقترب أجله.. وأنا أردُّ عليه وأحاول أن أهدأه وأقول له إن الله هو أرحم الراحمين؛ ثم ها أنت تستعجب لوجود مؤمنين بالله رغم كل تلك العلوم والعلم.. ورغم كل تلك المعرفة والإمكانيات.. ورغم كل ذلك الرقي والتحضر.. أعتقد أن هذا من قبيل ما تريد أن تقول.. أليس كذلك ؟

هل الدين قد اخترعه الإنسان أم هو أصل فيه؟

تبسم الملحد وقال:

_ ونسيت أن تضيف أيضاً بأن "الإله" الذي تعبدونه؛ ما هو إلا "وهم" في مخيلتيكم.. "وهم" قد صنعه الإنسان البدائي لأنه رأى أشياء أكبر من قدرته؛ فلجاء إلى اختراع هذا "الإله" لكي يُساعده.. وهكذا كان يعتقد.

قال المحترم:

_وماذا أيضاً؟

قال الملحد:

_وأن الدين المنتشر في المجتمعات؛ ما هو إلا ظـاهرة اجتماعية قد اخترعها الإنسان البدائي للحفاظ على المجتمع وللخروج به أيضاً من أزماته كما قلت لك! وأن الدين هذا كالأفيون.. أفيون تعطونه للشعوب كي تخدروها ثم تسرقوها باسم الدين.

قال المحترم:

_وأين هو دليلك على أن الدين لم يكن موجوداً منذ بداية الإنسان.. وأنه قد تم اختراعه في فترة من تاريخ البشرية؟ وأنه إذا كان الدين حقاً اختراع؛ فلماذا لم يخترع الإنسان أشياء أخرى على مر تاريخه الطويل؟

قال الملحد:

_الدليل هو كلام علماء الاجتماع وعلماء الدراسات الإنسانية؟

قال المحترم:

_وماذا يقول هؤلاء العلماء ؟

قال الملحد:

_يقولون الكلام الذي قلته لك بعدما أفنوا أعمارهم في الأبحاث والاستنتجات.

قال المحترم:

_إذاً هي مجرد استنتاجات ونظريات وليست دلائل وثوابت!

قال الملحد:

_بل هي ثوابت ودلائل.. وتوجد آلاف الأدلة على ذلك!

قال المحترم:

_اعطني دليلاً واحداً على أن الإنسان لم يكن له دين منذ وُجد.. اعطني دليلاً واحداً أستطيع إثباته والتحقق منه وليس مجرد استنتاجات وأقوال!

قال الملحد:

_توجد آلاف الأدلة على ذلك.

قال المحترم:

_اعطني دليلاً واحداً فقط!

قال الرجل الملحد:

_تريد دليلاً واحداً؟!

قال المحترم:

_نعم!

قال الملحد:

_إن الإنسان البدائي عندما بدأ ينظر حوله ويرى المخاطر؛ بدأ الاعتقاد في فكرة الآلهة الأعلى منه..

قاطعه المحترم قائلاً:

_ها قد بدأنا في تلاوة الأساطير والخزعبلات! لقد قلت لك أيها الرجل بأن تعطيني أدلة أستطيع أن أتحقق منها وليس استنتاجات يستطيع كل أحد أن يقولها!

قال الملحد:

_ بالطبع هذا دليل! بل هو دليل من أوضح الأدلة! فالعلماء عندما بحثوا في المجتمعات البدائية؛ وجدوا طقوس العبادات ليست معقدة مثل تلك التي في المجتمعات الحضارية.. ووجدوا أن تلك المجتمعات البدائية كانت تُقدس كائنات وآلهة عديدة.. آلهة في السماء وآلهة

على الأرض وفي الأنهار والجبال. وبعد أن أنهى العلماء والباحثون دراساتهم؛ بدأوا في وضع النظريات والأدلة على أن الدين من اختراع البشر وأنه قد تطور مع السنين.

قال المحترم:

ـوأين هو الدليل في كلامك على أن الإنسان لم يكن له دين منذ أن وجد؟! بل إن كل كلامك الذي قلته الآن؛ يؤكد أن الدين كان مُصاحباً للإنسان في جميع حياته.. بل هو يؤكد على أن دين التوحيد هو الذي كان أصلاً في تلك المجتمعات.. كان أصلاً فيهم؛ ثم حُـرَّف تدريجياً مع الزمن.

الدين صفة وراثية

قال الملحد:

ـالكلام الذي قلته أنا؛ يدل على أن الدين صفة وراثية تتوارثها الأجيل بطريقة بيولوجية بحتة ويختلف الدين من مكان إلى آخر!

قال المحترم:

ـصدقت! الدين بالفعل صفة وراثية في الإنسان.. صفة وراثية قد جعلها الله فينا معشر الإنسان.. جعلها فينا لكي نُلبي النداء إذا ما أتنا داعٍ من الله.. وكل إنسان لابد له من دين.. لا بد له من دين يؤمن به...

فاقتطع الرجل الملحد كلام المحترم قائلاً:

_أيها الكذّاب! كيف تدعي أن كل إنسان لا بد له من دين؟!! فـ ها أنا ذا! إنسان وليس لي دين.. والكذب ليس غريباً عليك؛ لأن المؤمنين _كل المؤمنين_ كاذبون.

الإلحاد دين وعقيدة

تبسم المحترم.. ثم قال:

_بل إن الإلحاد دين وله كهنته وإيمانياته! فالإلحاد هو دين التوهان والضياع.. هو دين المجهول واللاشيء، والملحدون يؤمنون بالتوهان واللاشيء.. يؤمنون باللاشيء بأنه خلق كل شيء.. فتُنسب إليه الخلائق.. وإليه يُنسب العقل والقدرة.. وإليه تُنسب الأفعل والأعمال.. وعلى الرغم من أنه لاشيء؛ إلا أنه خلق كل شيء.

قال الملحد:

_ كيف تعتبر الإلحاد دين؛ وهو في الأصل جاء لهدم الدين؟!!

قال المحترم:

_الدين هو الإيمان والاتباع.. والإيمان والاتباع فطرة في الإنسان.. فطرة في الإنسان لا يستطيع أن يمحوها أو أن يقربها. فمن الناس من يؤمن ويتبع الله الواحد.. ومنهم من يؤمن ويتبع هواه فيبتدع آلهة عديدة متعددة لتُسهل له ما يهواه، وفي حالة الإلحاد؛ فإنه يؤمن ويتبع اللاشيء والمجهول والضياع.

قال الملحد:

ـمهما يكن ما تقول! فالإلحاد ليس بـ دين.. ولا يندرج أصلاً تحت تلك الأديان المبنية على الأساطير والخرفات.. الأديان التي تحض على الكره والقتل.

قال المحترم:

ـبل الإلحاد دينٌ وإن كرهت ذلك! دينٌ يدعو للكره والبغض والضغينة والتفحش والإجرام.. دينٌ مبني على أسخف الأساطير والخرافات.. دينٌ يتيه بمن يؤمن به ويُضله ولا يصل به إلى شيء.. دينٌ مبني على كل ضروب الرجم بالغيب من غير دليل.

قال الرجل الملحد غاضباً:

ـالدليل الذي يتكلم به الإلحاد؛ هو كلام العلماء وأبحاثهم.. فهل أنت لا تصدق كلام العلماء الذين أفنوا حياتهم في الدراسة والأبحاث؟!

ردَّ المحترم قائلاً:

ـ لا يوجد عالم يقول بالمجهول واللاشيء أيها التائه! ثم إن العلماء من الناس.. وإذا فقد الناس الدليل والبرهان؛ فإن لهم ألسنة ويستطيعون أن يتكلموا بها.. ولكن العبرة في الذي يستخدم لسانه ليقول الحق.

قال الملحد:

ـوأنا أقول لك بأن هؤلاء علماء؛ فأي حق ودليل بعد أقوالهم تُريد؟

تعجب المحترم على صلابة عنق هذا الملحد وركوبه رأسه.. فردَّ عليه قائلاً:

_ دليل يحسه الناس ويتحققون منه ويرونه أمام أعينهم ويحسون به في أنفسهم.. فيشعرون في قرارات أنفسهم بأن هذا هو الحق فعلاً.. وإن لم يكن هناك دليل؛ فإن كل الناس لها ألسنة ويستطيعون أن يتكلموا.. ولكن كلامهم وما يزعمونه حينها؛ ما هو إلا الكذب.

قال الملحد:

_ وأي دليل تملك أنت غير خداع الناس وتخديرهم؟

أدلة المؤمنين

قال المحترم:

_ الدليل الذي معي؛ هو أنني آتي للناس ويأتي من هو مثلي.. ونقول لهم إن الله هو الذي خلقهم وخلق الذين من قبلهم من آباءهم وأجدادهم.. وهو الذي سوى الأرض وعدلها لهم، وكذلك السماء هو الذي سوّها أيضاً.. وهو الذي أنزل لهم الماء؛ فأخرج لهم الزرع رزقاً لهم.. وهو الذي خلق جميع ما في الأرض وخلق السماء.. وعليهم أن يتقوا الله ويخافوه بأن يتجنبوا ظلم أنفسهم وظلمهم من حولهم؛ فتلك تقوى الله.

قال الرجل الملحد:

_ إن الناس لا تحتاج لأي قول أو رأي من المؤمنين؛ فالعلم والنظريات قد فسرت كل شيء.

أكمل المحترم ولم يبالي للرجل الملحد.. بل نظر لمن حوله من الجلوس الذين يستمعون لهذه المحادثة الشيقة:

ـ الناس تستمع وتنصت إلينا.. ثم تبدأ الأسئلة والتساؤلات تنكشف وتتوارد على خواطرهم.. وهذه الأسئلة تختلف من شخص إلى آخر على حسب النشأة والطبائع.. ولكن الحق لا يهمه نشأة أو طبائع؛ لأن الحق وهو الله؛ هو من خلقهم هكذا مختلفين.. ولمَّا كان هو من جعلهم هكذا مختلفين؛ كان قادراً على أن يعطي كل واحد مسألته ويُجيبه على تسأله.. فيرضى بها السائل كل الرضا ويجد نفسه بالفعل فيما قاله الإله الخالق الـمُريد الذي يعلم ما يريد.

قال الملحد مستهزأ:

_ وهل نزل الإله من مكانه البعيد السحيق وقام بتجميع الناس وأجاب على تساءولاتهم؟

قال المحترم مجيباً:

_ الله ليس بعيداً حتى ينزل.. بل هو مع كل أحد من الناس، وهو الذي علمنا من علمه، وهو الذي أخبرنا عن قدرته؛ فوعينا ما أخبره لنا وما علمنا إياه.. فبدأنا نُجيب على الأسئلة التي يسألها الناس ونعطي كل أحد إجابته ونُسمعها له، ونُبين له تساءله.. نُبين له تسآءله ثم ننسف ما ليس له قرار من المعتقد والظن حتى لا يكون لأحد حجة بعد ما قاله الله وفصله.. وحتى لا يكون لأحد حجة إذا ما أخذ الله يُحاسب الناس يوم القيامة على ما بدا منهم في هذه الحياة.

ردَّ الملحد قائلاً:

_ أحقابٌ وأممٌ وحضاراتٌ قد خلت، وكل منهم ليس له شبه بغيره.. فثقافات للشعوب لربما لم يجتمع أهل الثقافة الواحدة على شيء معين من اختلافها وتنافرها، فما بالك بثقافات من في الأرض؟ وسرائر وأفعال وظنون.. وبواطن أمور للشعوب خاصة بهم دون المشهور..

وشعبيات منتشرة للشعوب وأحاديث.. وتواتر أنباء وأحداث.. وبداءة وحضارة؛ ثم أنت تحكي وتقول عن استغفار لذنوب.. وخوف وخالق.. وتسوية وتعديل للأرض والسماء! أويستوي كل ذلك عندك؟

قال المحترم:

_ ومالي أنا بالقرون والأحقاب التي مضت؟ هي قرون وأحقاب قد مضت ربي أعلم بهم.. حسابهم على الله كما هي حال أحد في كل زمان. غير أن الذي لا تعرفه؛ أن الله هو الذي جعلنا شعوباً وقبائلاً.. وأن أحسن الشعوب والقبائل عند الله؛ هي التي لا تظلم نفسها ولا تظلم غيرها.. لذلك لا أبالي لقرون مضت؛ لأن حسابهم على الله كما هو حال كل المخلوقات والدوآب.. فحساب كل أمة وكل أحدٍ عليه.

ردَّ الملحد متهكماً:

_ هل أنت تزعم وتقول بأن إلهك هذا؛ قد خلق كل واحد من الناس على حِــدةٍ.. وأنه هو الذي وراء خلق الناس كلهم.. وأنه هو المسؤل عن كل أولئك البشر على مر السنين التي لا يمكن حصرها؟

أجاب المحترم قائلاً:

_ نعم أقول بذلك وكل ثقة وعزة وإيمان بربي. نعم أولئك كلهم خلق الله.. خلق الله قد انتشروا في الأرض بعدما كانوا أمة واحدة.. وأن الله هو الذي خلقهم كما تراهم بلا حدود تحدهم... بلا حدود مكانية أو حدود عقلية.

من الذي خلق الله؟

قال الرجال الملحد وكأنه وجد ضآلته:

_إذاً لو اتبعنا كلامك بأن "الله" هو الخالق الذي خلق كل شيء؛ فإننا ولابد بأن نصل لهذا السؤال: من هو الذي خلق "الله"؟

سكتّ المحترم وأخذ ينظر إلى الرجل.. فقال الرجل الملحد له:

_ماذا حدث لك؟ أين هي إجاباتك الإيمانية؟

فقال المحترم بعد أن فكر قليلاً:

_الناس ليست في حاجة لمثل هذا السؤال لكي تؤمن بالخالق! لأن الإيمان بالخالق موجود في كل مكان من حولهم.

قال الملحد:

_هذا لتعرف أن ما تؤمن به؛ ما هو إلا خرافة وأسطورة تُسمى بـ "الإله".. ولو أنك صادق؛ لأجبت عن السؤال: من هو الذي خلق الله؟

أخذ المحترم يفكر هنيهة.. ثم قال للرجل:

_هل تعرف الملقوق والمشروق.. والبشريقي والمشنيقي؟

قال الملحد:

_ وما هي تلك الأشياء؟

قال المحترم:

_هذه ليست أشياء.. وليس لها معنى.. وإنما أنا قد اخترعتها الآن!

قال الملحد:

_وكل ذلك _طبعاً_ لكي تهرب من سؤال: من خلق "الله"؟

قال المحترم قاذفاً فدامغاً الباطل.. كعادته:

_لا.. بل من أجل أن تعرف أن مفهوم "الخلق" لم يكن له وجود قبل أن يخلق اللهُ الكون والأشياء.. وكلمة "الخلق" قبل أن يبدأ الله الخلق؛ لم يكن لها معنى.. ومثلها مثل الكلامات التي ذكرتها لك الآن.

قال الملحد بعد أن أخذه التفكير بعيد جداً.. فقال بعد وهلة من الزمن:

_إذاً.. ماذا تقصد؟!

قال المحترم:

_أقصد أن مفهوم الخلق وفكرة الخلق لم يكن لهما تعريف أو وجود لكي تخرج علينا بوساوسك وتقول لنا: من الذي خلق الله؟ ففكرة الخلق أصلاً لم تكن موجودة قبل الله.. فالله هو الذي ابتدعها واخترعها.. ولذلك لا يمكن استخدامها بأي حال من الأحوال وتطبيقها على الله الذي اخترعها وابتدعها أصلاً.

كلام المحترم قد أخذ الرجل الملحد بعيداً جداً.. ثم قال بعد زمن من التفكير:

_إذاً..

قال المحترم يُكمل له جملته التي يحجبها كبره عن نطقها:

_إذاً.. كل خلق خُلق؛ فالله هو الذي خلقه.. وكل موجود وجد؛ فالله هو الذي أوجده.. إليه يرجع الخلق وأمر الكون.. كل شيء في الكون ناقص؛ والله الكامل.. كل شيء في الكون باطل؛ والله هو الحق الموجود.. لم يكن هناك زمان قبل خلق الكون، ولم يكن هناك مكان.. فقط هناك الله.. الله الصمد فقط.

أين هو الله من الظلم والشر؟

قال الرجل الملحد بعدما أفاق بعد مدة وحاول الهروب من الصاعقة التي قذفه بها المحترم:

_ إذا كان الله موجوداً؛ فأين هو من كل هذا الظلم والألم والشرّ المنتشر في هذه الحياة؟

أجاب المحترم:

_ إذاً أنت تعترف بأن هناك ظلماً وشراً يحتجان من يمنعهما ؟

قال الملحد:

_ وهل الظلم والألم والشرُّ يخفيان على أحد أيها الرجل؟

قال المحترم:

_ أولم تقل منذ قليل بأن الدين قد اخترعوه المؤمنون قديماً ليكفوا الناس عن الفساد وليخرجوا بهم من الأزمات التي كانت تواجههم وأنه أفيون للشعوب لتخديرها؟

قال الملحد:

_ نعم قلت ذلك.

حرك المحترم رأسه متعجباً من تناقض هؤلاء الملاحدة.. ثم قال:

_ الظلم والشرّ والألم هما نتاج الملحدين أمثالك على مر العصور والدهور، والله هو الذي يبعث المؤمنين لكي يقضوا على الظلم والشر الذي تسبب فيه الملحدون.. الملحدون الذين كفروا بالله وضلوا ووقع في الفتن.. الملحدون الذين يعبدون ظلامات أنفسهم!

وبسببكم أنتم أيها الملاحدة؛ قد خرجت لنا أفاعيل وظنون لا تعرف استقامة ولا سابقة وكأنها الظلمات.. كأنها ظلمات البحار تبسط أجنحتها على النفس البشرية.. وبسبب أفعالكم قديماً؛ قد زُين للناس بأنه إذا ما مات أحد منهم؛ كان لهم أن يقتلوا بعضاً من الأحياء ويدفنوهم مع ذاك الميت.. وأنه إذا ما أنجبت ولداً وخفت وخشيت الإنفاق عليه؛ كان لك أن تقتل هذا الولد ولا حرج.. وهذا هو الإلحاد وما فعله في الأحقاب والقرون التي مضت!

من هو الله؟

كان من ضمن الموجودين في قاعة الجلوس أحد الفتيان.. أحد الفتيان اليافعين الذي قال للمحترم:

_ وما هو الله الذي تؤمن به أيها المحترم؟

قال المحترم :

_ انظر إلى السماء وإلى الأرض!

فإن كنت أزلت ساتر الغافلين عنك؛ فإن الله هو خالقهما.. وهو من ابتدعهما وأعطاهما صورتهما.. وهو ربُّـهما وربُّ كل شيء بينهما.. وهو ربك وربُّ ما ترى وما لا ترى إن كنت تيقنت وتُعد ممن يشعر.. من أولئك الذين يشعرون ويحسون أنه هو ربهم كما يجدوا ويحسوا بذلك في أنفسهم.

الناس الموجودون في قاعة الانتظار كلهم يستمعون بإنصات شديد إلى المحترم.. عمَّ الصمت قليلاً.. ثم انتبه الرجل الملحد بعدما أخذته كلمات المحترم بعيدا جداً؛ فقال لمن بجواره:

_ هل يدرك أنه قال ما قال؟

ثم نظر حوله للموجودين، وساخراً قال:

_ أتسمعون ماذا يقول؟ يتهمونا بالظلم والفساد؛ والدين أصلاً هو سبب الفساد!

قال المحترم متوجهاً إلى من حوله من الناس؛ فنظروا كلهم إليه غير مبالين للرجل:

_ هو خالقكم ومسوي كل نفس منكم.. وهو موجدكم وموجد أبآءكم وأجددكم وموجد أبناءكم وكل من سمعتم عنه ومن لم تسمعوا عنه.. هو من صورهم وأخرجهم كل واحد على صورته.. وكما الحال قبلنا وفينا؛ تكون الحال بعدنا؛ فالله هو الذي يخلق.. وهو الذي يسويّ.. وهو الذي يصور.

الرجل لا يصدق بأن كل هذا الكلام عن ربٍ وخالق؛ قد قيل وهو موجود.. ومحاولاً الدفاع عن إلحاده وعن مكانته قال:

_ الرجل أصابه الجنون والعمى! _أي المحترم إسحاق_

قال المحترم ونظره على المتواجدين من حوله:

_ هو ربُّ الشمس وما أشرقت عليه..

وهو ربُّ الشمس وما غربت عليه إذا كنتم تستنبطون وتستنتجون من ورآء أبصاركم التي ترون بها وفيكم عقول تعقل، وفوق ذلك وجود ذلك الشعور الذي في أنفسكم.. ذلك الشعور الذي بسببه تنصتون إليَّ.. الشعور الذي يسري فيكم بأن الله هو خالقكم وهو ربكم! أولا ترون أنكم تستمعون إليَّ منصتين وكأني أكلمكم على شيء فيكم؟!

قال الملحد وقد انتبه من إنصاته.. كالعادة:

_ ما أراك إلا رجلاً مخبولاً يعيش في خياله !

نظر المحترم إليه.. فقال الرجل الملحد:

_ قل لي إذاً ! كيف خلق الله ربك كل تلك الأنواع والكائنات الحية بما فيها من تشابهات وتعقيدات؟ إن كنت صادقاً فعلاً.. فأخبرنا!

أخذ الرجل ينظر لمن حوله من الجالسين وكأنه يسخر من المحترم.. ردَّ المحترم قائلاً:

_ خلقها ربها كما خلقها.. وقد أمرنا أن نُنقب ونبحث ونسير في كل الأرض حتى نعرف كيف بدأ خلقها.. وأمرنا أيضاً أن نضع النظريات والأسس العلمية الصحيحة السليمة حتى نعرف كيف بدأ خلقها؛ فنُزيده هو تعظيماً وإجلالاً عن الكيفية التي خلق بها كل ما نرى وما لا نرى.

الفتى اليافع يسأل المحترم مرة أخرى:

_أزمنةٌ وأحقابٌ كل بما فيه من مخلوقات قبل التاريخ أو بعده.. كيف كان هذا الأمر؟

أجاب المحترم قائلاً:

_ إن كنت من السائلين عمَّا قبل خلق السماء والأرض؛ فلك ما قلت وما سأقول!

كان الله وحده ولم يكن هناك شيء أو أحد غيره.. لم يكن هناك شيء حتى تقول أنه كان فيه، أو أنه كان كذا فأصبح كذا.. بل هو صمد كما هو.. لا معنى ولا تصور لما قبل خلق الكون غيره.. غير الله الخالق المريد.. المريد الذي يعلم ما أريد.

قال الفتى اليافع:

_ أخبرني أكثر عنه إذا سمحت أيها المحترم!

قال المحترم:

_ هو من ابتدع السماء والأرض بما فيهما وأوجدهما ولم يكن لهما أثر من قبل.. هو عليم يعرف كيف يُحدث ويُخرج الأمور إلى الواقع والوجود؛ فهو من جعل ما كان كيف كان.. وهو الذي يجعل ما يكون كيف يكون.. وهو من سيوجد ويجعل ما سيكون كيف سيكون.

هو الحكيم! فانظر إلى ماحدث ويحدث وما سيحدث كيف يتم بهذه الحكمة! إذا نظرت بعينك؛ فإنك لا تجد تفاوت في السماء أو الأرض.. بل ترى جميع الأمور تسير ولا تفاوت فيها ولا ثغرات.. فقط تناسقٌ وحسنٌ يكاد أن يُذيب العقول.

كل ما يدهشك ويعجبك؛ هو الذي أخرجه وأودع فيه من العجب والمعرفة والقدرة ما يصعق العقول.. وهو الذي أخرج وأقرّ ما لا تعلم وما غاب عنا وسيُعلم وما غاب عنا ولن يُعلم.

وهو من جعل الضحك والبكاء.. وهو الذي جعل الحياة والموت.. لم ينزل الماء من السماء ويسكنه في الأرض؛ إلا رزقاً لما على تلك الأرض من أحياء.. ولم يخلق الشمس؛ إلا لتكون سراجاً يتوهج يضيء الأرض.

كل ذرة في السماء أو في الأرض كانت؛ يعلمها ولا تتحرك إلا وهو قائم عليها.. يراها ويعلمها.. وقائم على كل شيء آخر في هذا الكون ويراه.. يرى كل شيء على حدة ويرى كل شيء مجتمعاً في رؤية واحدة.

هو لا ينسى أي شيء أو يضل عنه.. يعلم عدد ما في السماء والأرض من أشياء كـ علمك بعدد أصابع يديك أو أشد علماً.

كل الموجودين في قاعة الجلوس منجذبين ويستمعون بإنصات شديد إلى المحترم.. ثم أخذ هذا الفتى اليافع يسأل المحترم مرة أخرى:

_ وكيف خلق الإله هذا الكون ؟

المحترم تظهر عليه السعادة لهذه الأسئلة؛ فأجاب قائلاً:

ـ خلق الكون من كتلة صماء.. كتلة صماء لا فراغ فيها ولا هواء.. كتلة صماء قد أفتقها وأخرجها من هيئتها وتكتلها فجعلها السماء والأرض.. وكما بدأ الكون من تلك الكتلة الصماء المسدودة يعود الكون إليها أيضاً.

وكل ما خلقه الله في هذه الأجل.. الأجل منذ أن خلق الله السماء والأرض إلى حين عودتهما إلى ما خُلقتا منه، ثم ماهو بعد ذلك؛ ما هو إلا مشيئة الله كله جميعه.. وكل ما حدث في هذا الأجل؛ هو الذي شاءه.. وكل ما حدث في هذا الأجل من صغير أو كبير؛ قد كتبه وسطَّره في كتاب عنده.

عقلية الملحدين

الشاب اليافع يظهر عليه إنصاته بشدة وقد أخذه كلام المحترم ليتعمق في التفكير.. إلا أن الرجل الملحد لم يطق إنصات الناس للمحترم؛ فقال مخترقاً حاجز الإنصات بعدما أفاق هو الآخر من كلام المحترم:

ـ يا أيها المتخيل البديع! أجئت لتخدع الناس بحبكةٍ في القول وكأنها قصص وأساطير الأقدمين الأولين تحكيها؟! فلو أنك تعلمت شيئاً عن تركيب الكائنات الحية وخواصها الوراثية.. أو قرأت شيئاً عن الهندسة الوراثية أو "التطور البيولوجي"؛ لعرفت كيف هو الترابط بين أشكال الحياة المختلفة.. وأنه على مرَّ مئات ملايين السنين قد تراكمت الخواص البيولوجية في الكائنات البدائية جيلاً بعد جيل حتى تتلائم مع البيئة المحيطة وهكذا حتى خرجت الكائنات الحية كما نراها الآن.

ولو أنك اطلعت أو قرأت شيئاً عن هياكل الحيوانات المنقرضة.. أو قمت بدراسة بسيطة عن الشبه والتشابه بين هذه الهياكل على مرّ العصور والدهور؛ لعرفت كيف تغيرت الأجناس.. وكيف أن تلك الأجناس المختلفة قد تم تدجينها أو تهجينها وتطورت من نوعها الأصلي لكي تتأقلم مع أشكال الحياة التي تعيش أو ستعيش فيها.

ولو أنك قرأت شيئاً عن المملكة الحيوانية أو النباتية.. أو قرأت شيئاً عن الصراع من أجل البقاء في الظروف المناخية الصعبة على حافات الصحاري أو في أجواء الجليد القارس؛ لعلمت ما هو الانتقاء والانتخاب الطبيعي.. ولعلمت أيضاً كيف نشأت الأنواع الحية.. ولعلمت وتوصلت إلى فهم الروابط والصلات المشتركة بين الكائنات العضوية وعلاقتها الجنينية وتوزيعها الجغرافي وتعاقبها الجيولوجي.

ولو أنك قرأت شيئاً عن تطور المخ البشري؛ لعلمت أن ذلك بسبب الانتخاب الطبيعي على مرّ ملايين السنين.. وبسبب هذ الانتخاب الطبيعي؛ قد اكتسب المخ قدراته وخواصه الأساسية.. ولعلمت أيضاً أن كل الأشياء التي حكيتها أنت منذ قليل؛ ما هي إلا أقوال وقصص قد اخترعها الأقدمون ليُحافظوا على المجتمع ويخرجونه من أزماته.. وكل تلك الأقوال والأديان قد تطورت مع الزمان فتفاوتت واختلفت كل على حسب المكان.

اقرأ وابحث عن نشأة الكائنات الحية؛ تظهر لك الحقيقة كاملة.. سيظهر لك كيف بدأت الحياة على الأرض بتتطور للكائنات على مرّ الأجيال، وأن الحياة لم تخرج إلى ما هي عليه إلا

بسبب الانتقاء والانتخاب الطبيعي من أنواع أولية وابتدائية، وكفاح المخلوقات من أجل البقاء ومن أجل الحياة.. ثم يظهر لك بعد ذلك زيف ما تؤمن وتدعُ الناس إليه.
تحكي عن حسابٍ وعقاب.. وتوبةٍ واستغفار.. وإيمانٍ وحمد.. أيها المسكين!

قال المحترم في سكون:
_ ليجتمع العلماء الصادقون من كل الأقطار والبقاع ويُعلنوا، وليبحثوا عن هياكل الحيوانات ويُشَرِّحوا، وليفندوا مجاري ومصبات الأنهار وينقبوا، وليرتحلوا إلى كل مكان في الأرض ويحفروا، وليجمعوا العينات ويدرسوا، وليتفقوا على شيء ولا يختلفوا.. ليفعلوا كل ذلك ثم ليخرجوا علينا بما اتفقوا عليه! وحينها.. حينها تماماً سوف يزداد إيماننا ونعلم ونرى كيف بدأ الله خلقه الأنواع والكائنات.

أمثالي إذا تعلموا؛ يزدادون إيماناً.. وأمثالك إذا تعلموا؛ يزدادون كفراً.. أمثالي يعلمون أن جميع الأنواع والكائنات قد تم خلقها بقانون واحد.. وأن الإرادة والقوة والفعل الذي خلق جميع الأنواع والكائنات؛ إنما يعود إلى شيء واحد.. شيء واحد قد خلقها من الأرض نفسها وقد مهد الطريق والبيئة المحيطة قبل عملية الخلق؛ فتشابهات تلك المخلوقات جميعاً في الخلق.. تشابهت في الخلق لأن الخالق واحد، ولأن القانون المستخدم واحد، ولأن المصدر الذي خُلقوا منه جميعاً واحد.. ولأن البيئة التي ستعيش فيها تلك المخلوقات هي بيئة واحدة.

قال الملحد بعدما شدّه كلام المحترم.. كالعادة:
_ هلَّا تركت عنك تلك القصص التي كالأساطير !

تبسم المحترم وقال:

_ وتصفني أنا بـــ المسكين ! فإن كان هناك مساكين في تفكيرهم؛ فما أنت إلا واحد منهم!

ألم تعلم يا رجل بأن كل النظريات التي تتكلم عن نشأة الكون وأصل الأنواع؛ لا يقوم عليها دليل واحد؛ لأنه ببساطة لا يمكن لأي أحد أن يعلم مما خُلقت الأنواع والكائنات.. وأن كل العلم الموجود عن هذه الأنواع والمخلوقات؛ أنها قد خُلقت بنفس القانون.. وخُلقت من نفس المصدر، وأما عن الكيفية؛ فلا أحد يعلم شيئاً عنها.

وإليك شيء يُذهلك أكثر ! فإن الخالق المريد الذي خلق تلك الكائنات والأنواع؛ هو الذي عرّفنا بأنه خلقها جميعاً بنفس القانون.. وعرفنا أيضاً أنه استخدم في خلقها ما لا علم لنا به، وقال بأن كل الكائنات أزواج.. وأنه خلق تلك الأزواج من الأرض ومما تنبته تلك الأرض.. ومن ثم جعل خاصية التناسل فيها.. ثم عرّفنا بأن هذا لا يكفي، بل هناك شيء لا علم لنا به قد استخدمه في خلقها ليتم الإبداع والإخراج.

هنا تدخل الفتى اليافع مرة أخرى في المحادثة؛ فقال:

_ إذاً أنت تطعن في العلماء الأفاضل وتطعن في كل تلك العلوم والتي بسببها قد خرج كل هذا التقدم والرقي والسهولة في العيش والتعامل؟

قال المحترم:

_ كلا ! أنا لم أطعن بالطبع في العلماء الصادقين ولا يحق لي أن أطعن فيهم.. ولكن هناك خطأ قد وقع فيه الكثير من الناس.. وهذا الخطأ؛ هو أنهم يحصرون أمر الفصل والحسم في نشأة

الحياة ونشأة الأنواع في علماء الأحياء وعلماء الوراثة والكمياء والجولوجيا.. وكأن هؤلاء العلماء لهم الحق في الفصل في هذا الأمر الشديد الصعوبة بل المستحيل.

إلا أن الذي لا يعلمه الأكثرين من الناس؛ أن هؤلاء العلماء لا يمتازون على أحد إذا تعلق الأمر بمعنى الحياة ومغزها.

قال الفتى اليافع:

ـإنهم علماء أصحاب علمٍ ومعرفة أيها المحترم!

قال المحترم:

ـأعرف.. وإن كل الذي يمكن لهؤلاء العلماء أن يفعلوه ولهم الشكر في ذلك؛ هو أنهم يصفوا ما يجدون تحت أيديهم.. وأنهم يحاولون استنباط القوانين التي أدت إلى ما يجدونه أمامهم.. وأنهم يحاولون حساب ما يحدث من ارتباطات وعلاقات وتفاعلات في كل جزء من أجزاء الأمور التي تؤثر فينا ونؤثر فيها وتشغل تفكيرنا مما نراه ونعيش فيه من حولنا.. ومن ثم يحاولون صياغة المعادلات وتسخير ما اكتشفوه لكي يُستخدم في تيسير أمور الحياة (كالعمليات الجراحية، والأدوية التي ساهمت كثيراً في مساعدة البشرية، ومن ثم تطوير وتسهيل أمور الحياة والرفاهية).

وهذا جُـــلّ ما يستطيعه العلماء.. أمَّا أن يأتي أحدهم ويتجرأ ويزعم بأن أصل ومغزى الحياة هو ما يقوله؛ فهذا ما لا يمكن قبوله؛ لأنه من يزعم بذلك؛ فإنه يزعم من حيث لا يدري بعظم الجهل الذي يمتلكه!

قال الفتى اليافع:

_ هل من الممكن أن توضح بمثال أيها المحترم؛ لماذا ترفض أقوال العلماء عن أصل ومغزى الحياة؟

قال المحترم:

_ لو أنه خرج علينا صانعوا الشطرنج من النجاريين والمصممين، وقالوا بأنهم أمهر الناس في هذه اللعبة لأنهم هم من صنعوها؛ لقلنا إن هذا الكلام لا يمكن قبوله بأي حال من الأحوال. ولو أنه خرج علينا المهندسون والحرفيون الذين يصنعون آلات الكتابة، وقالوا بأن لهم كل الحق في أن يستأثروا بالكلام في معاني الحروف وأسرار الكلمات لمجرد أنهم يصبوا الحروف ويديروا الآلات ويخرج من تحت أيديهم كل كتاب؛ لقلنا إن هذا الكلام لا يمكن قبوله بأي حال من الأحوال أيضاً.

قال الفتى اليافع :

_ إذاً ماذا تقول في أمر هذه المخلوقات والكائنات والأنواع؟

قال المحترم:

_ لقد سألتني عن ذلك وأجبتك.

قال الفتى اليافع:

_ نعم! سألتك وأجبتني.. ولكني أريد مثالاً يُنير لي الظلمات التي في مخيلتي!

قال المحترم:

_ هل تقصد مثال يضحد أقوال الملاحدة في كلامهم عن الخلق ونظرياتهم عن كيف بدأ هذا الخلق؟

قال الفتى اليافع:

_ نعم إذا سمحت أيها المحترم.. وأعلم أنني أثقلت عليك.

قال المحترم:

_ دعني أوضح لك بمثال نراه تحت أيدينا ومن ثم نأخذ نسأل بعض الأسئلة الهامة ونحاول أن نجد لها إجابة حقاً وليس مجرد ردود نرددها هكذا.

فلنأخذ مثالاً لإحدى الجزر البعيدة جداً في قلب المحيط! ولتكون هذه الجزيرة معزولة تماماً عن باقي القارات.. ويوجد في هذه الجزيرة بعض النباتات والحيوانات النادرة، والتي لا يوجد لها مثيل في أي مكان آخر في العالم.. اتفقنا أيها الفتى اللامع؟

قال الفتى متحمساً وبتركيز ينظر إلى المحترم:

_ اتفقنا أيها المحترم .

أبحر المحترم قائلاً:

_ السؤال الأول: كيف جاءت هذه النباتات والأنواع إلى هذا المكان؟

تدخل الرجل الملحد وقطع الكلام.. فقال:

_ أنا أعلم عن أي الجزر تتحدث؟

تفاجئ المحترم بقطع كلامه.. فأجاب متعجباً منه:

_ أوحقاً تعرف؟!

فقال الرجل الملحد:

_ على هذه الجزر توجد طيور عاصفير قد اكتشفها العلماء، وهي تؤيد كل الكلام الذي قلناه عن الانتخاب والارتقاء.

قال المحترم:

_ وكيف يؤيد وجود تلك العصافير الكلام عن الانتقاء والتطور؟

قال الرجل:

_ إن هذه العصافير قد تغيرت بشكل بسيط جيلاً بعد جيلاً.. ومع مرور الزمن قد تراكمت أعدد لا تحصى من التغيرات الدقيقة جداً على مدى السنين.. وقد تغيرت أشكال تلك العصافير نتيجة تراكم الصفات ونتيجة التمايز وعمليات التعديل والتي اكتسبتها الأجيال اللاحقة.

قال المحترم:

_وكيف عرفوا بأن هذه العصافير قد تغيرت؟!

قال الملحد:

_من الأحافير التي وجدوها أيها الضال!

قال المحترم:

_وكيف عرفوا أن هذه الأحافير تعود لتلك العصافير؟!

قال الملحد:

_لأن لها نفس التراكيب الداخلية والهياكل أيها الجاهل!

قال المحترم:

_المهم! إلى ماذا صارت تلك العصافير؟

قال الملحد:

_ صارت بشكل ملاحظ؛ أنواعاً جديدة وراثياً وتشريحياً وتغييرت مناقيرها.

قال المحترم:

_هل مازالت كما هي عصافير؟

قال الرجل:

_ نعم بالطبع.. مازالت هي عصافير كما هي.

قال المحترم:

_ وكيف تطورت وتغيرت وهي لم تزل كما هي عصافير؟

قال الرجل:

_ هي لم تتطور.. بل تكيفت مع البيئة.

قال المحترم:

_ طيب..

ثم أخذ المحترم نفسُه.. وعلى تعجب وانذهال من عقلية هؤلاء؛ نظر إلى الفتى اليافع وقال له:

_ عند ماذا توقفنا؟

قال الفتى اليافع:

_ كنت تتسأل عن كيفية مجيء الأنواع والكائنات إلى الجزر البعيدة في المحيط.

قال المحترم:

_ نعم بالضبط.. فالسؤال الذي يطرح نفسه وبشدة، ويحاول أن يجد له إجابة؛ هو كيف جاءت هذه النباتات والأنواع إلى هذا المكان؟

ودعني هنا أتقمص الفكر الذي يقول بالتطور والانتخاب والارتقاء! ولنرجع بالزمان إلى الوراء.. إلى الوراء كثيراً جداً قبل وجود أي مخلوق.. قبل وجود أي مخلوق حيث البروتون والبكتريا والخلايا الأولى والجسيمات الدقيقة جداً. ودعني أقول ما يقوله الارتقائيون من أن هذه الجسيمات الدقيقة والخلايا قد ارتقت وانتخبت حتى خرج أول مخلوق ابتدائي، وهذا بالإغفال والتغاضي عن الموت وعن الأمراض والأسقم وعن باقي المخاطر.. وكأن الكون ينتظر هذا المخلوق الابتدائي ليهيء له كل شيء لتحقيق نظرية أحدهم!

وبالإغفال والتغاضي عن منابع الإسئلة المنهمرة، والتي تكاد أن تكسر رؤوسنا منشدة حاجتها لأن تجد إجابة! وبالتغاضي عن كل ذلك؛ نكتفي بسؤال واحد هنا:
هل تلك "البكتريا والبروتونات والجسيمات الدقيقة" عارفة إلى ماذا ستصير؟ أم أن هناك "قوة وعقل وفعل" تتحكم في هذه البكتريا وهذه الجسيمات، وأن هذه "القوة والعقل والفعل" هم في الأصل الذين خلقو وكونوا هذه الجسيمات الدقيقة؟

قال الفتى اليافع:
_ فلو كانت الإجابة بأن الجسيمات الدقيقة هي التي وراء عملية الخلق والتكوين؛ ماذا ستقولون أيها المحترم؟

قال المحترم:
_ لو كانت كذلك؛ لقلنا هذا كذب وافتراء.

قال الفتى اليافع:

ـ ولماذا أيها المحترم سيكون كذب وافتراء؟

أجاب المحترم:

ـلأنه لا يمكن قبول القول بأن البروتونات قد استطاعت أن تخرج الكائنات العبقرية البديعة؛ ثم عجزت عن تزويد تلك الكائنات بما يمدها بالحياة الهنية وبالاكتفاء الذي لا يعرضها للمخاطر والمفترسات.. وكل ذلك كان سينفعها في مشوار التطور الطويل.

أو بالأصح لا يمكن قبول ذلك؛ لأنه لا يمكن تصديق أن البروتونات أو الجسيمات الدقيقة قد أخرجت وخططت لخروج أول مخلوق بديع؛ ثم أغفلت أن تخرج للكائن الجديد ما يجعله يتفق هو والأنواع الأخرى التي ستخرج منه مستقبلاً.. حتى لا يأذي أحدهم الآخر.

ولا يمكن قبول ذلك أيضاً؛ لأنه من يقول بالتطور والارتقاء قد تصور عالماً خالياً من المخاطر.. المخاطر بشتى أنواعها، وهو قد تصور العالم هكذا؛ لأنه لو تصوره بالمخاطر؛ لما خرج علينا بالقول بالارتقاء أو بالانتخاب؛ لأن بروتوناته وخلاياه ومخلوقاته الابتدائية لن تنجو وستظل في الوحل أبداً.

ولا يمكن قبول ذلك إجمالاً ؛ لأنه يختلف مع ما لدينا من المنطق والعقل.

قال الفتى اليافع:

ـولو كانت الإجابة؛ بأن هناك "قوة وعقل وفعل" هي من وراء الخلق والتكوين؛ ماذا ستقولون أيها المحترم؟

قال المحترم:

_ لاتفقنا نحن والإرتقائيون في جزء ولاختلفنا في الجزء الآخر.. اتفقنا في أن هناك بالفعل"قوة وعقل" هي من وراء الخلق.. ولاختلفنا اختلافاً كلياً تماماً في الكيفية التي صارت عليها تلك "القوة والعقل" في الخلق؛ لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال قبول طريقة الخلق التي يقول بها الارتقائيون والتطوريون.

قال الفتى اليافع:

_ ولماذا أيها المحترم لا يمكن قبول طريقة الخلق التي يقول بها الارتقائيون؟

أجاب المحترم قائلاً:

_لأنهم حينما يقولون انتخاب وارتقاء؛ فإنهم من حيث لا يعلمون ينسفون منهجهم بقولهم ذلك؛ لأنه كيف تنجو المخلوقات البدائية مع كل هذا النقص الذي كان يعتريها في خلقتها الأولى؟!

ثم إن طريقهم أيضاً منافي للمشاعر والأحاسيس التي تسري فينا..

وفوق ذلك أن طريقتهم منافية للمنطق والعقل الذي نفكر به.. وإذا وافقنا على هذه الطريقة؛ فإنه ستظهر أسئلة لا يمكن الإجابة عنها بالعلم ولا بالمنطق أو بالعقل.. بل ستكون الإجابات نابعة من الخيال والتوهان واللاشيء.. ولربما الخيال والتوهان لن يقبل تلك الإجابات أصلاً وسينفر منها.

الملحدون يُهدمون دينهم بأنفسهم

قال الفتى اليافع :

_ هل تقصد تلك الأسئلة التي سائلها التطوريون لأنفسهم؛ مثل قول أحدهم: كيف تم تحويل الأنواع الابتدائية إلى أنواع صحيحة كما نراها؟ أو كيف يستطيع كائن بسيط أو عضو جسدي بسيط أن يتغير ويكتمل في صورة كائن عالي التكوين أو عضو مشيد بدقة؟

أو قوله: إذا كانت الأنواع قد نشأت وانحدرت من أنواع أخرى عن طريق تدرجات دقيقة؛ فلماذا لا نستطيع أن نرى في كل مكان عدداً لا حصر له من الأشكال الانتقالية، و لماذا لا تكون الطبيعة كلها في حالة فوضى بدلاً من مما نراه من كون الأنواع محددة؟

أو قوله أيضاً: هل نستطيع أن نصدق أن الانتقاء الطبيعي يمكنه أن يُنتج من أحد الجوانب عضواً ذا أهمية تافهة مثل الذيل الخاص بالزرافة والذي يُستخدم كمضرب ذباب، وعلى الجانب الآخر يُنتج عضواً غاية في الروعة مثل العين؟

وقوله عاد ماسبق: ماذا يمكن أن نقول عن الغريزة التي تقود النحل إلى أن يصنع خلايا، وبذلك يسبق الاكتشافات الخاصة بعلماء الرياضيات عميقي التفكير؟

قال المحترم:

_ أحسنت أيها الفتى اللامع.. أحسنت أيها العالِـم !

فأمر هؤلاء التطوريون كله جميعه؛ أنهم يلاحظون ويكتشفون القوانين التي تعيش وتسيير عليها الكائنات الحية ولهم جزيل الشكر في ذلك؛ ثم يُلبسون تلك القوانين مع الوساوس

والخزعبلات التي في أنفسهم؛ فتخرج لنا نظريات لا تستقيم إلا في حياة التائهين الذين ينتمون إلى المجهول وإلى اللاشيء.

تكلم الرجل الملحد مجدداً.. وقال منتفضاً:

- الخزعبلات والوساوس هي ما تقوله أنت، وليس ما يقوله العلماء!

قال المحترم:

_ الخزعبلات والوساوس هي أنني أخرج على الناس؛ وأحاول أن أقنعهم وأقول لهم أن الرمال المستخدمة في بناء البيوت؛ إذا ما تركنها لمدة من الدهر فإنه واجب بأن تُخرج من تلقاء أنفسها بيوتاً على أشكال مختلفة متنوعة مبهرة لمجرد الظن بأن كل هذه الروعة في البنيان وكل هذا التنوع والاختلاف؛ يستحيل بأن يكون وراءه مهندسون وبناة مهرة يعرفون ماذا يفعلون.. وإنما هو ناتج عن الرمال العمياء المجردة التي مرَّ عليها الزمان فتطورت وارتقت واستطاعت بقدرة منها أن تنتخب وتخرج كل أجزاء ذلكم البنيان.

قال الرجل وضاحكاً باستهزاء:

_ هذا مثال باطل؛ لأن الرمال الجامدة لا يُعقل بأي حال من الأحوال أن تكون شبيه بالخلايا والبروتونات المجهرية الحية التي كانت في البداية قبل وجود الأنواع والمخلوقات!

قال المحترم:

_ مادمت صفة الخلق والصنع مصاحبة للأشياء الصغيرة؛ فإنه لازم ولابد كما أخرجت الكائنات المجهرية الحية أشكل الحياة المختلفة؛ فإنه لازم ولابد أيضاً بأن تُخرج الرمال الجامدة

العمياء أشكال البنيان الجامد الأعمى والمختلف أشكاله أيضاً.. فالحي يُخرج الحي مثله، والجامد يُخرج الجامد مثله.

التشابه بين الكائنات والأنواع

لم يتفوه الملحد بكلمة بعدما أفحمه المحترم.. وأما الفتى اليافع؛ فأخذ يضحك مذهولاً من العلم الذي عند المحترم.. سكتّ الفتى هنيهة ثم قال:

_ وماذا تقول أيها المحترم في التشابه الكبير بين الأنواع والمخلوقات والكائنات؟

قال المحترم مبتسماً للفتى:

_ هذا إن دلّ؛ فإنما يدل على كمية القدرة والعلم التي عند الله؛ فهو قد استطاع أن يجعل الشكل الخارجي للمخلوقات متشابهاً جداً تماماً؛ ثم فرق بين تلك المخلوقات في نفسها وفيما يصدر عنها.. وكل ذلك لم يجعل الله يتلخبط أو أن تختلط عليه الأوراق؛ فيقع بسبب عملية التشبيه هذه في الخطأ أثناء الخلق والتقدير.

وأما عن الطريقة التي خلق الله بها الكائنات؛ فهذا ما أمرنا أن نبحث عنه ونُثبته بالمعادلات والقياسات الصحيحة.. إلا أن الله قد عرفنا أيضاً بأنه قد استخدم في عملية الخلق أشياء لا علم لنا بها ولن يكون لنا علم بها.. وتلك هي الروح.. الروح التي إذا سُحبت من مخلوق ومات؛ لم تستطع تحريكه.. ولكن بالروح التي فيه؛ فإنه يتحرك بدون الشعور بأي صعوبة.

سكت المحترم قليلاً وأخذ ينظر إلى الرجل الملحد.. ثم قال:

ـ وقبل أن أنهي هذا الحديث؛ قل لي أيها الرجل الملحد: لماذا إذا كانت البيئة المحيطة بالكائنات الحية لم تتغير منذ أن كانت؛ ما الذي سيضطر تلك الكائنات لأن تتغير؟!!

فالأكل مازال هو الأكل.. والشرب مازال هو الشرب.. والهواء والتنفس مازال هو بعينه الهواء والتنفس.. والأهوال وسفك الدماء مازال كما هو.. وكيفية التناسل والجماع مازالت هي الكيفية.. والوله والرغبة قبل الجماع عند الحيوانات مازال كما هو.. والود والحب والعشق أثناء الجماع ما زال كما هو أيضاً.. وحب الأم لولدها وعطفها عليه مازال كل ذلك كما هو.. فمالذي جعل المخلوقات ترتقي وتنتخب وتتغير إذا كان كل ما حولها لم يتغير وكيفيته مازالت هي الكيفية؟

قال الملحد:

_ مهما يكن ما قلت وتقول؛ فالتطور والارتقاء علم لن تستطيع أنت وأمثالك ضحده.

قال المحترم:

_لو فرضنا أن الارتقاء والانتخاب والتطور حق فعلاً _وما هو بحقٍ أبداً_؛ فلماذا لم تسطع تلك المخلوقات البلهاء الحمقاء بقدرة منها وحسن تدبير أن تنجو من الآلم والابتلاءات، والمحن والصعاب، والقتل والنجاة بنفسها؟ ولماذا أيضاً لم تستطع بقدرتها الفعالة أن تجد حلاً لذلك الموت اللعين الذي يُصيبها فيفرق الأحباب ويجيء بالآلم وإدماء القلوب؟!

أم أن تلك المخلوقات ما هي إلا مخلوقات بلهاء حمقاء لا قدرة لها على شيء مغلوبة على أمرها، وأن هناك من يتحكم فيها ويُكسبها صفاتها وما نجده فيها؟

اللا شيء هو الذي خلق الكون عند الملحدين

أخذ الملحد يُتهته في كلامه ولا يعرف بماذا يُجيب.. إلا أن المحترم لم يتركه؛ بل نزل عليه بالضربة القاضية.. فقال له:

_ قل لي يا هذا! من الذي خلق هذا الكون؟

الرجل لا يريد أن يُكمل هذا النقاش والحوار؛ إلا أن هذا السؤال ثقيل لا يمكن تركه؛ وإلا لشمت الناس فيه.. فقال بعد هنيهة، ولا يهم ما الذي سيقوله! فالأهم هو أن يتكلم وكفى؛ والكلام هو الذي سيتكفل بحفظ ماء الوجه:

_ الكون لا يحتاج لأحد لكي يخلقه.. والمصادفة وحدها كافية لتفسير كل نظام ملحوظ.. فلو أنك أتيت بصندوق من الحروف الأبجدية وأعدت تنضيده مئات المرات وملايين المرات على مرّ الدهور والسنين؛ فإنه سيخرج نظام كهذا النظام وكون كهذا الكون.

قال المحترم وقد أثار ذهوله هذا الرّد.. إلا أنه معتاد على ذلك، فقال:

_ إذاً.. لو اتبعنا افترآئك وزعمك فيمن خلق الكون؛ كان من الواجب واللازم إلى أن نصل ولا مفرَّ إلى القول بأن المجهول واللا شيء هو الذي خلق السموات والأرض وخلق الكون. خلقهم عندما قرر بأنه سيكون شيء.

أم أنك تقول بأن الناس هم حقاً من خلقوا الكون وخلقوا السماء والأرض.. أبهذا تقول أم بذاك؟ تم وانتهي أن ما تقوله وتتكلام به؛ ما هو إلا باطل أبطلته وأخرجته، وكذب ادعيته.. انتهى النقاش.

لماذا يؤمن الناس بالإلحاد رغم كذبه؟

بدء هذا الرجل الملحد في التحرك.. ولا يُسمع له إلا أصوات أقدامه تأخذه بعيداً.. ثم قال الفتى اليافع:

_ ما الذي يجعل الناس تؤمن بالكفر والإلحاد رغم أن كذبه بائن؟

أجاب المحترم وخاتماً هذا الحديث:

_ الكبر والإيباء الذي في صدورهم؛ هو الذي يحول بينهم وبين الإيمان.. يأتي إليهم الحق؛ فلا يركنوا إلا إلى الباطل ويرضون به.

ثم إن هؤلاء الملاحدة لن يستمع إليهم أحد إلا من هو على شاكلتهم ومثلهم.. يجتمعون في هذه الحياة ومن ثم يُلقون في السعير يوم القيامة.. السعير الذي يستغيثون فيه من شدة حره المذيب يُريدون ماءً؛ فلا يُـأتى لهم إلا بماء حمم البراكين ليست بشيء معه.. وإذا وضعوه على أفواههم ليشربوا؛ شويت وجوههم الكريمة.. وإذا أردوا طعاماً ليأكلوا؛ فسوف يُأتى لهم بثمار شجرة لعينة لا وصف لقبحها وسوءها.

أخذ المحترم نفَسُه ثم أخرجه وظهر على وجهه الحدة...ثم قال:

_ وفي النهاية! إما المؤمنون أو الملحدون هم الذين على حق، إما نحن أو هم.. إما صادقون وعلى طريق قويم.. وإما في الضلال والخصام البعيد.

* * *

الفصل السادس

دخل المحترم الحديقة فوجد دانيال جالس على إحدى مجالسها وهو آخذ يجول ويُغيِّر نظره من أمامه إلى التجوال به في السماء.. ثم انتبه دانيال على اقتراب أحد منه؛ فتتغير ملامحه من محاولة هروبه واستغرابه لما يجول في صدره إلى رؤيته المحترم إسحاق؛ فيبتسم ويفرح لذلك.. ثم أخذ يقف مستقبلاً المحترم.. وقال ماداً يده مصافحاً وماشياً نحوه:

_ كيف أحوال صديقك الذي ذهبت لتُسلم عليه؟

سأله يحاوره من الود بينهما.. وكأن دانيال مهتم لكل أمرٍ من أمور المحترم. تبسم المحترم وقال:

_ بخيرٍ والحمد لله.. كيف هي أخبار الحديقة وسماءها.. أراك تتفقدهما.

ضحك دانيال وحَكَّ سبابته برأسه.. ثم قال:

_ هل لاحظت ذلك ؟ _وأفسح الطريق ليجلس المحترم_

جلسا.. وفي صمت لم يدم طويلاً؛ فقد أخذ المحترم يضغط بكفه على قلبه ثم اتكأ على جانبه الأيسر وأرجع ظهره إلى المسند.. ثم سعل بعض السعال؛ فقال دانيال:

_ ما الخطب ؟ هل أنت بخير أيها المحترم؟

نظر المحترم أمامه ثم إلى دانيال ويده ما زالت على صدره ثم قال:

_ لا ! ليس هناك شيء.. لكن أحياناً ينتاب قلبى شعور بالتضخم.. وكأني في حاجة لأن أحتويه.. وهناك أيضاً شعور بتنميلة فيه من ناحية ظهري، لكن سرعان ما يعود لحالته.

قال دانيال:

_ أتمنى أن تكون الأمور بخير !

قال المحترم:

_ نعم.. لعله خير إن شاء الله. _أخذ نفسه.. ثم عاد الصمت قليلاً_

قال دانيال :

_ كيف تمَّ وأصبحت حال الرجال اللواطين إلى ما هي عليه الآن؟

أخذ المحترم يحرك لحيته يستوعب سؤال دانيال.. ثم قال:

_ ألم تعلم أنه إذا ما اخترع أحد طريق واتبعه؛ إلا صار فيه وسلكه رغم ما فيه من الظلمات.. كما رأيت من هؤلاء الرجال الذين يأتي بعضهم بعضاً.

قال دانيال متعجباً:

_ وكيف تمَّ التوصل إلى أن يخترع أحدهم مثل هذا الطريق الغريب الذي لا يُستصاغ؟ ولماذا أجبر نفسه على الصبر حتى تتقبل مثل هذا الطريق؟

استمع المحترم بإنصات شديدٍ.. ويا لعلمه! فلا يسمع شيئاً إلا ويظهر عليه من خلال إجابته أنه مرَّ عليه هذا السؤال من قبل.. ثم حدد من أي بدآءة يبدأ.. ثم قال:

_ يوجد أحد المخلوقات تعيش معنا ولا تُرى.. مخلوقات خفية.. لها عالم غير عالمنا.. لا دخل لهم إطلاقاً بالعالم الذي نعيش فيه؛ إلا من خلال إحدى الصِلات.. وتلك هي طبيعتهم التي خلقوا عليها.. وإذا حاول أحد هذه المخلوقات أن يؤثر في الإنسان؛ فليس هناك من طريقة إلا طريقة الإيحاء والوسوسة التي في النفس.. وتلك المخلوقات تُسمى بالجن1.

قال دانيال:

_ هل تقصد أن الجن له علاقة بموضوع اللواط والشذوذ؟

أجاب المحترم قائلاً:

_ سوف ترى..

ثم أكمل المحترم قائلاً:

_ وقبل أن يخلق الله الإنسان؛ كانت أرجاء الأرض _كما هي الحال الآن_ مسكونة بأنواع الحيوانات والحشرات.. وكانت تلك الحيوانات والحشرات تتقاتل وتتنازع على الطعام وعلى أن تُسيطرعلى المكان.. ونزاعها هذا كان فيما بينها ضمن الزُمرات والقطعان.. وعندما يحدث نزاع فيما بينها؛ فتلك المخلوقات لا تُبالي إن كان التنازع مع الأب أو الأم أو أي أحد آخر..

---

1 _ الجن أو الملائكة لا دخل لهم إطلاقاً بعالمنا؛ فإنه لو وقف بينك وبين من تُحدث من أصحابك ألف ملك أو ألف جن؛ فإنك سترى صاحبك وتسمعه وكأنه ما هناك من شيء بينكم.. وهكذا، وسبحان الله ربِّ العالمين!

فهذا ليس في حسبانها، وكل ما يتحرك ويدُبُّ على الأرض من المخلوقات؛ كان على هذه الشاكلة من التنازع أو قريباً منها.

يُخبر الله الملائكة أنه سيخلق خلقاً جديداً يكون على الأرض.. وهذا المخلوق الجديد سيكون خليفة لله على الأرض.. خليفة لله؛ له أن يفعل مثل أفعال الله.. واسم هذا المخلوق وسمته الغالبة الظاهرة هي لبشرته وآدميته.. والله سبحانه لا يخبر الملائكة عن كل خلق سوف يخلقه.. ولكن الملائكة تمَّ لهم وأن تكلم الله معهم وأخبرهم عن هذا المخلوق الجديد؛ فأجابوا على الله وردوا عليه قائلين:

_ إنه ما من خلق تجعله على الأرض؛ إلا ويكون متقاتلاً متنازعاً.. سافكاً للدماء ومفسداً فيها غير مُصلح! وأنهم _أي الملائكة_ يسبحونه ويحمدونه على أن خلقهم وكيف أنه خلقهم.

قال دانيال:

_ والملائكة قالت ذلك بسبب ما تراه من تصرفات المخلوقات على الأرض.. أليس كذلك؟

قال المحترم:

_ نعم هو كذلك.. وقد ترسخ في أذهان الملائكة؛ أنه ما من خلق يخلقه الله ويجعله على الأرض؛ إلا ويكون مثل بقية المخلوقات التي يعرفونها ويرونها.. والمخلوق الآدمي لن يختلف عن المخلوقات السابقة لمجرد أنه مخلوق جديد!

فأجابهم سبحانه بأنه هو العليم الحكيم.. الذي يستطيع أن يخلق ما لم يكن في الحسبان بأنه سيُخلق.. وشاء الله سبحانه أن يخلق مخلوقاً جديداً، عنده القدرة على أن يستوعب كل ما في

السموات والأرض.. وعنده القابلية في أن يحيط علماً بكل ما في الكون من أشياء.. وأن هذا المخلوق الجديد به من القدرة والعلم والمشاعر؛ المقدر الكبير حتى وإن كان من أهل الأرض وسُكانيها.. وأن هذا المخلوق الجديد ستكون روحه من روح الله.

قال دانيال سائلاً:

_ وهل كل أرواح البشر؛ هي من روح الله نفسه؟

فأجاب المحترم قائلاً:

_ نعم بالطبع! وقد أمر الله الملائكة بأنه إذا ما خلق المخلوق الجديد.. ونفخ في جسده من روحه تعالى.. وهو المخلوق الوحيد الذي روحه هي من روح الله تعالى؛ فإذا ما تم كل ذلك خرَّوا ووقعوا له ساجدين.. فسجد الملائكة كلهم جميعاً لهذا المخلوق الجديد؛ إلا واحداً من هؤلاء الملائكة قد ظهر عليه الإيباء والتكبر في أن يسجد لهذا المخلوق الجديد!

قال دانيال:

_ ومن هذا الذي رفض السجود أيها المحترم؟

أجاب المحترم قائلاً:

_ إبليس هو الذي رفض السجود لهذا المخلوق الجديد.. وإبليس هذا كان من الجن؛ ولكن الله رفع مرتبته من حُسن عبادته وصلته بالله.. رفع مرتبته وجعله من ضمن الملائكة.

وإبليس قد رفض السجود؛ لأنه قد اجتمعت عنده الأمور كلها بأنه ما من لأحد أفضلية عليه.. وهذا هو اعتقاده وظنه.

قال دانيال:

_ ولماذا اعتقد إبليس بأنه لا توجد لأحد أفضلية عليه؟

قال المحترم:

_هو قد اعتقد ذلك؛ لأنه أحاط علماً بمعظم ما خلقه الله على الأرض.. ومعظم الخلق الذين هم على الأرض؛ ما هم إلا دواب من الحيوانات والحشرات لا تعقل شيئاً.. ثم إن هذه الدواب والحيوانات معروفة طباعها من سفك للدماء وفتك وقتل من أجل الطعام أو المكان أو السيطرة. وأما باقي المخلوقات؛ فما هم إلا الملائكة.. وما هم إلا خلق في الملأ الأعلى.. وحتى أولئك الملائكة؛ فقد قُرب إبليس عليهم وكان له مرتبة فيهم.

أما إبليس! فإنه من بني الجنِّ الذي قُرب وفضل علي جميع الجن بسبب عبادته لله وتقربه إليه سبحانه وذكره له.. وإن كان هناك وصف لإبليس حينها؛ فما هو إلا جنيٌّ من الملائكة المقربين العابدين لله.

جاء إلياس من خلفهم ومبتسماً قال.. فنظرا إليه متفاجئين:

_ وقد رفض إبليس السجود؛ بسبب التكبر والحسد الذي اشتعل في صدره.

ابتسم المحترم فرحاً بقدومه.. ثم قال:

_ بالضبط أيها المرح ! ويبدو أنك قد وعيت ما قلته لك من قبل.

ولذلك قد اجتمعت الأمور لدى إبليس بأنه ما هو إلا هو.. لا لإحدٍ أفضلية عليه ولا مقارنة له بغيره.. وأن الأمر على هذه الحالة سائر.. لا مكانة عنده لتغيير؛ فكل الأمور واضحة.. لا شيء يدعو بأن يكون هناك تغير؛ فهذه هي الحال.. وسُنة الله التي سنَّها هي هي.. مالها أن تتبدل أو أن تتغير.

قال دانيال:

_ وهل كان معلوماً بين الملائكة أن الله سيخلق خلقاً مثل الآدمي فيفضله على كل شيء ويجعلهم يسجدون له؟

أجاب المحترم:

_ لا أحد يعلم ما في نفس الله.. والملائكة علمها محدود لا تستطيع أن تتنبئ بما هو قادم أو ما هو المغزى مما يرونه.. ولكنَّ إبليس؛ فإنه كان واجباً عليه أن يتنبئ بما هو قادم بسبب كل ما يراه أمامه من الخلق وفي كل الكون.. وكان واجباً عليه أيضاً أن لا يأمن مكر الله.. لكنه اغتر بمكانته.. اغتر بمكانته ونسي وقَصُر فهمه أن الاختيار والمشيئة لله وحده.. اغتر بمكانته ولم يُبالي بأن يكون هناك ابتلاء من عند الله له ماذا هو بفاعل فيما يبتليه به.. ولكن يظهر أنه قد انشغل كثيراً جداً بما خرج الإيباء منه.. وهو إعجابه بنفسه، فلم يُبالي بأن الله هو من أمره بالسجود.

يسأله الله:

_ ما لك يا إبليس أن لا تكون مع الملائكة ساجداً؟

فأجابه إجابة من الكذب.. أجابه قائلاً:

_ ما كان لي أن أسجد لمخلوق من طين !

ونحن لا ندري! أو إن كان خُلق آدم من قبس من نور أكان سيسجد؟ أولم يكفي بأن الله هو من أمره بالسجود حتى يسجد من دون اعتراض؟

قال إلياس:

ـ بل كان الأولى على إبليس أن يسجد ثم يولي بعيداً جداً في السموات ومُلك الله الذي لا يُحيط أحداً به علماً إلا الله.. كان الأولى أن سجد؛ لأن الله هو من أمره.

قال المحترم:

ـ ولكن الكِبر والتكبر قد جاء يا إلياس! ولا يهم ماذا يحدث بعد ذلك؛ فالعقل لا يعقل شيئاً إذا ما جاء الكبر.. ولا طاقة ولا تحمل بأن يُمس الكبر عند الكثير وإن كان الحق كل الحق في اتباع الأمر.

قال دانيال:

_ أيها المحترم! هناك سؤال.. _وأخذ يُجمع الكلام ليسأل هذا السؤال_

قال المحترم:

_ تفضل !

فقال دانيال:

_ هل عرّف اللهُ الملائكةَ فضل هذا الآدمي قبل أن يأمرهم بالسجود له؟

فقال المحترم:

_ الملائكة ليسوا في حاجة لأن يتبيَّنوا قبل أن يسجدوا؛ لأنهم يُطيعون ولا يعصون.. فقط هم مُطيعون. ثم إن الله جعل الملائكة ترى سبب تكريم الآدمي قبل أن يسجدوا له. فقد عرض عليهم الأشياء التي علَّمها لآدم.. وسئلهم أن يعرفوا أسماء تلك الأشياء.. فقالوا مُسبحين له؛ بأن علمهم فقط هو ما أحده لهم وعلَّمهم إياه.. فلا علم ولا قابلية للعلم لهم بعد ما أحده الله لهم.

وبالمناسبة! فقد كان إبليس في الملائكة حينها ولم يعرف ماذا يجيب هو الآخر ولا كيف.. ولكن آدم أخبرهم بأسماء الأشياء التي عرضها الله عليهم؛ فتبينوا لشأن هذا الآدمي.

قال دانيال:

_وماذا فعل الله بإبليس عندما تكبر على السجود لآدم؟

قال المحترم:

_ قال الله له غاضباً عليه: اخرج ! ما يكون لك أن تتكبر فيها.. إنك من الصاغرين.

(أي اخرج من ملكوت السماء إلى الأرض؛ لأن الذي يعيش في ملكوت السماء ليس له أن يتكبر)

فقال إبليس لله:

_ كما أغويتني وعلمك بي.. وعلمك كيف هي نفسي وكيف هي حياتي.. ثم تضعني في موقف تنظر ماذا أنا فاعل فيه؛ فبعزتك! _وكم أنت عزيز يا ذا العزة_ مهما كان هذا المخلوق الذي كرمته علي؛ فإنه ليس بكذب ظني فيه.. أوليس هو من أهل الأرض؟ فسأوريك ماذا أنا فاعل فيه وسيفعل.. وسأُغويه وسيغوى.. وسأُضله وسيضل.. وسأُمنيه بأشياء لا تحدث وسيتمناها.. وسوف أعده بأن ما يتمناه سوف يحدث؛ فيصير مغروراً وهو لا يملك لنفسه شيء، ولا يملك نصراً ولا تصريفاً لشيء.. وسوف أحاول أن أُنسيه أنه لا حول ولا قوة إلا بك.. وأجعله يرى ويظن بأن أمر الحياة بلا معنى هكذا.. فالشجر إذا أسقيته أخرج الثمار، والثمار إذا قطفتها فأنت آكلها.. ولا شيء أكثر ولا أقل من ذلك، وما تلبدت السماء بالغيوم وأخذت تُمطر؛ إلا لأن السحاب قد تراكم.

فقط أبقني حي إلى يوم القيامة وسأوريكه حقاً هذا المخلوق الجديد.

فقال الله له:

_ أنت من المنظرين إلى يوم القيامة.. وإن جهنم هي موعدك أنت ومن اتبعك من ذرية آدم!

ولم يَسرِ هذا التخويف على إبليس؛ إلا زيادة له في طغيانه الكبير.

* * *

الفصل السابع

آدم وزوجته الآن في الجنة، وليس عليهما ما يواري عوراتهما.. وبالرغم من أنهما كانا عاريان إلا أنهما لا يعرفان الشهوة بعد.. وكانت في تلك الجنة؛ شجرة.. وقد أمرهما الله بأن لا يأكلا منها ونهاهما عن ذلك.. فأخذ إبليس اللعين يوسوس لهما بأن يأكلا من هذه الشجرة التي قال الله لهما بأن لا يقربها.. واللعين عنده علم بأنهما متى أكلا من هذه الشجرة فإن شهوتهما سوف تقوم وسوف يُنزع عنهما اللباس الذي يغطي شهواتهما والذي ألبسهما إيَّاه ربهم.

قال دانيال:

_وكيف كان يوسوس إبليس لهما أيها المحترم؟

قال المحترم:

_كان إبليس اللعين يأخذ يوسوس لهما ويدخل عليهما من ناحية الأكل والطعام.. فأتى ووسوس لهما من خلال ذلك.. فأخذ يُزين لهما بأنه إذا ما أكلا؛ صار من الملائكة المقربين.. وأصبحا خالدين لا يموتان إلى يوم القيامة.

ضحك دانيال بصوت عال ثم قال:

_ما هذا الغباء ! وهل وسوس لهما عن طريق الأكل فعلاً.. إنه مسكين؟

أخذ المحترم يضحك هو الآخر.. ثم قال:

ـ إبليس اللعين ليس له طريق في الوسوسة والإغواء؛ إلا عن طريق رؤيته لما يدور في النفس وما هي مشغولة به؛ فيأخذ من كل ذلك سبيلاً إلى الوسوسة والإغواء.. ومن ثم يبدأ في اختراع طريق وويوسوس بأن هذا الطريق هو المخرج مما ثار في النفس وانشغلت به.

ولم يزال إبليس وراء آدم وزوجته حتى آكلا من الشجرة.. آكلا من الشجرة فبدت عاورتهما.. ونُزع عنهما اللباس الذي أبلسهما إياه ربهما.

قال إلياس :

_ وكيف كانت وسوسة إبليس وتزيينه للأكل ؟

قال المحترم:

_ كانت وسوسته شبيهة بالتالي:

ليس هناك من مانع في أن تأكلا من هذه الشجرة؛ لأنه لا مانع.. إنه مجرد أكل.. مجرد أكل ولا أرى ماذا في ذلك.. وما في الأمر من محاسبة! أي محاسبة ستكون تلك؟ إنها جميلة تلك الثمار.. يا للذة ! هل تتذكران شكلها؟ مغرية طعمها.. جمييل.. كم أنتما تشتهيانها تلك الثمار! فكرا في الأمر.. إنه شيء يستحق قطفة.. أنتما تشتهيانها.. إنه جميل!

ثم إن الله لم ينهاكما عنها؛ إلا أنكما ستصبحان مَلكين إذا أكلتما منها وتصبحان خالدين لا تموتان إلى يوم القيامة.. كم هذا شيق.. جميل.. مثير للاهتمام!

هذا هو كل ما في الأمر ولا يوجد غيره.. أقسم بالله لكما بأنه لهذا فقط نهاكما الله من أن تأكل من هذه الشجرة.. وإني لكما لناصح أحب لكما كل الخيير.. لايوجد غير ذلك.. إنه هو فقط..

وأنت يا آدم تستطيع أن تقسم بالله بأنه لا يوجد غير ذلك.. فما الذي سيكون غيره يا من أمر الملائكة بالسجود لك؟

وأنتِ _أي زوجة آدم_!يا من سجدت الملائكة لزوجك! كم هي جميلة ثمار تلك الشجرة.. ما بال طعم ثمارها تلك التي صفة الخلود موقفة على الأكل منها! خلوود لا موت بعده.. من المؤكد أن طعمها جميل.. وما بال عصرتها إذا وقعت في فمكِ تلك التي تحول إلى ملائكة!

قال دانيال:

_ إنه كائن مسكين التفكير.. أهكذا يوسوس؟!

تبسم المحترم ضاحكاً.. ثم قال:

_ نعم ! إنه مسكين جداً.. ووسوسة الشيطان اللعين يُضرب بها عرض الحائط من ركاكتها ودُنُوها.. وأن تلك الوسوسة ما هي إلا كلام خارج من أحد الصاغرين البلداء.. وأنه ما بكلام يُلفظ إذا ما أُريد المقال والبيان.. وأنه كلام ما له أن يحصل ويحدث أو حتى في أن يرد على خاطر لولا وسوسته لعنه الله.. ولولا ما في النفس من مشاعر وحماس؛ لولا أنه اُستُمع لكلام اللعين إبليس.

قال دانيال:

_ وماذا حدث بعدما أكل آدم وزوجته من الشجرة؟

أجاب المحترم قائلاً:

_ تمَّ لآدم وزوجته أن عصيا ربهما وأكلا من الشجرة؛ فبدت وظهرت لهما عوراتهما وسؤاتهما من خباءها وساترها.. فنادهما ربهما قائلاً: ألم أنهكما عن هذه الشجرة _بأن لا يقتربا منها_ وقلت لكما إن الشيطان لكما عدو مبين! فاستغفر آدم وزوجته ربهما بدعاء علمه الله لهما.. فقالا: ربنا ظلمنا أنفسنا فارحمنا! وندمنا يا ربنا وضاقت علينا أنفسنا.. وأنه إن لم تغفر لنا وترحمنا؛ لنكوننا من الخاسرين.. الخاسرين الذين هم وقع عليهم غضب من الله لعصيانهم رغم ما كان من التحذير!

فتاب الله عليهما ورحمهما إنه هو التواب الرحيم. وكان هذا أول عصيان للإنسان.. وأدى هذا العصيان إلى نزع إحدى الألبسة التي ألبسها الله للإنسان.. وهكذا هو عمل اللعين! يحاول جاهداً في أن يوسوس للإنسان.. يوسوس للإنسان فيبتكر ظلمة من ظلمات النفس يفعلها.. ومتى أخذ الإنسان يفعل تلك الظلمة والمعصية ويتبع لها طريقاً؛ فإنه طريق ممدود يتولاه ويتبعه.. ولكن هذا الطريق ماهو إلا ظلمة من ظلمات النفس لا راحة ولا خير في اتباعها. وهكذا هو كيد اللعين منذ آدم إلى ساعتنا هذه إلى حين يوم القيامة هو هو! فالشيطان عنده القدرة على أن يسمع ويبصر ما يجول في نفس الإنسان وفيما يفكر فيه.. كما أن للإنسان أن يسمع ويبصر ما يوسوس به الشيطان.. وكل ذلك؛ هو من قبيل الإيحاء والتفكير.

انهى المحترم كلامه.. وعمّ الصمت طويلاً هذه المرة.. الليلة مقمرة.. والقمر قريب منهم.. وبحيرة الماء كذلك على بعد أمتار.. وبعض الطيور عائمة على الماء.. الجو سكون، وفي هذا السكون قال المحترم لدنيال بنبرة خافتة تتوارى في هذا الجو:

_ ألا يجعلك هذا المنظر ترى كم أن الله طيب؟

نظر دانيال إلى المحترم وهو يتكلم ونظره ناحية البحيرة.. وبدون أن يتكلم يرجع دانيال بنظره إلى البحيرة مجدداً بعد أن قال المحترم قولته.

❊ ❊ ❊

الفصل الثامن

على باب المشفي ودانيال والمحترم دَاخلين؛ يُنادي أحد الجالسين على المحترم ويقف متجهاً ناحيته.. يبدو أنه الفتى اليافع الذي كان يتحاور مع المحترم منذ قليل.. أشار المحترم بيده أنه قد انتبه.. أقبل عليه الفتى اليافع وقال:

_ معذرة على الازعاج أيها المحترم..

سكت لعدة ثوانٍ.. ثم حاول أن يجد طريقة يبدأ بها الحوار.. ثم قال:

_ أحقاً ما قلته؟!

نظر المحترم إليه.. وبإشفاق ورغبة من المحترم في أن يجد هذا الفتى اليافع طريق ربه والإيمان به.. أجابه المحترم قائلاً:

_ نعم هو حق أيها الفتى النبيه.. ولكي ترى ما هو الإيمان؛ عليك أن تؤمن أولاً بأن هذا الرجل الذي أكلمه وواقف هو أمامي الآن _وضغط المحترم بيده على صدر الفتى اليافع_؛ ما هو إلا مخلوق قد خرج من قليل من الماء.. قيل من ماء المني عندما استمتع أبيه بأمه.

نظر الفتى اليافع عن جانبه وكأنه يفكر في شيء.. ثم نظر إلى المحترم وقال:

_ ولكن هناك من سيقول بأن هذا المني؛ ما هو إلا مصنع عظيم جداً.. مصنع عظيم يعمل بآليات تتسبب في تراكم الصفات الجسدية للأجداد ثم للأبوين.. والتي يتم توريثها للأجيال القادمة.

قال المحترم:

_ من قال لك ذلك؛ فقل له بأنه صادق فيما يقول ويدعي.. فالله هو من أكسب هذا الماء هذه الصفات، وهو الذي جعله مصنعاً عظيماً ومخزناً كبيراً للصفات ليخرج منه هذا الكائن الإعجوبة الكثير التعقيد.

قال الفتى اليافع:

_ سيقول لي بأنه ليست هناك قوة خارقة لتقحمها في أصل مجيئك.

قال المحترم:

_ من قال لك ذلك؛ فقل له: إنك قد أقحمت المجهول والتوهان واللاشيء في عملية الخلق.. أما نحن معشر المؤمنين؛ فإننا قد أقحمنا القصد والغاية والإرادة في عملية الخلق.. قصدُ الله وإرادته وغايته ثم قدرته في أن يأتي بك إلى هذا الوجود.

ثم قال:

_سيقول لي: وأين هو الله من كل تلك البراكين والزلازل والخسف؟

قال المحترم:

_قل له: إن الله قد خلقها ليخوف الناس بها ويجعلهم يطمعون في أن يغفر لهم ذنوبهم.. يُخوفهم إذا أردوا الإجرام أو الفساد في الأرض ويذكرهم بأن هناك من هو أقوى من كل تلك البراكين والزلازل؛ وهو الله الذي سيُحاسبهم.

قال الفتى اليافع:

سيقول لي: إن الله شرير.. وإلا لما خلق الشرّ!

قال المحترم:

قل له: إن الله خلق الطعام ولكنه لا يَطعم أو يأكل.. وخلق الماء ولا يشرب، وخلق النوم ولا ينام. وكذلك الأمر في الشرّ! فهو خلقه ولكنه ليس بشرير.. بل خلق الشر؛ لكي يبتلي الإنسان ويفتنه.. وهل هذا الإنسان يؤمن بالله رغم كل الابتلاءات أم ماذا يعمل هذا الإنسان؟

قال الفتى اليافع:

_ سيقول لي: إن فكرة خلق الله لكل شيء على حِدة وتصميمه الذكي؛ ليس لها وجود.. وإلا فما هو القول في التشابهات الكبيرة والصفات المشتركة في التركيب التشريحي والجيني والوراثي بين الكائنات الحية؟ أولا يؤدي ذلك إلى التصديق بأن هناك سالف مشترك قد انحدر منه على عكس ما يقوله المؤمنون؟

قال المحترم:

_من قال لك ذلك؛ فقل له: بل هذا يؤدي بي إلى زيادة الإيمان بالله؛ لأنه هو الذي عرفني منذ القدم بأنه هو من جعل التشابه بين الكائنات ليدل على أن الخالق واحد.. وأن القانون المستخدم في الخلق واحد.. وأن المصدر الذي خلقت منه جميع الكائنات التي على الأرض واحد.. وأن الله قادر على أن يخلق الأنواع والكائنات بنفس التركيب الجسدي والتشريحي والجيني؛ إلا أنهم يختلفون تماماً في أنفسهم.

قال الفتى اليافع:

_ سيقول لي: قل ما تشاء ! فما زالت الكلمة للعلماء.

قال المحترم:

_ قُل له: إن العلماء الذين تقصدهم؛ كل ما يمكنهم فعله هو أن يُحصلوا الأمور الحاصلة.. ويفسروا الواقع المحسوس بالواقع المحسوس.. وأما إذا بدأوا في إبداء آرائهم بدون دليل؛ فهم لا يفترقون عن أحد.. بل لربما كانوا أضل من كل أحد ووقعوا في ضروب من التخمين والظن الذي لا يقوم عليه دليل.

قال الفتى اليافع:

_ سيقول لي إذا أجبت عليه بذلك: وأين هو دليلك القاطع والحق الساطع من علمك.. من علمك الذي هو في الأصل مبني على كل ضروب الرجم بالغيب؟

قال المحترم:

_قل له: إن عند المؤمنين أقوى الأدلة وأجدها.. وأحرها في دحض الباطل وأقواها.. وأكثرها تثبيتاً للنفس وأزكاها.

قال الفتى اليافع وكله شوق في أن يعرفها:

_ وما هي تلك الأدلة التي هي عند المؤمنين أيها المحترم؟

قال المحترم وكله شعور بالراحة إذا ما جاء ذكر الإيمان:

_ هي أدلة الله الخالق المريد.. الخالق المريد الذي خلق كل شيء عن غاية وقصد في خلقه.. هي أدلة الله وأدلة المؤمنين به.. والتي يسمعها الإنسان فيتذكر نفسه ويشعر بها وينفض عنها غُبار الضياع والمجهول الذي يعيش فيه.. تلك الأدلة التي تجعله يرجع إلى البيئة الإنسانية.. البيئة البشرية وليست بيئة الشياطين التي كان يعيش فيها.. بيئة الشياطين حيث كل شيء كذب وبهتان؛ فعالمٌ تائه قد خُلق من لا شيء وبلا معنى؛ ماذا يُنتظر ويتوقع ممن يعيشون فيه غير حياة شيطانية لا تستقيم مع الفطرة الإنسانية؟

أخذ الفتى اليافع يستمع إلى كلمات المحترم ومأخوذ بها كثيراً.. ثم عمَّ الصمت لوهلة ومازالت الكلمات تتردد في أذنه.. والمحترم مازال ينظر إليه.. ثم قال له:

_ وإذا أردت أن تعرف كم أن هؤلاء الملحدين لا يقفون على شيء فيما يقولونه ويدعونه؛ عليك أن تسألهم سؤال.. سؤال واحد يُسكتهم ويفحمهم.

قال الفتى اليافع منتبهاً:

_وما هو هذا السؤال أيها المحترم؟

قال المحترم:

_ قل لهم: من هو الذي خلق الكون بكل ما فيه؟

ستجدهم يتخبطون في بعضهم تخبط الحمير الوحشية إذا ما رأت الأسود فأخذت تفرّ منها أشد الفرار في كل اتجاه ولا تهتدي إلى سبيل.

ردَّ الفتى اليافع بعدما انتبه من سرحانه في أمر الإيمان وأمر المشاعر التي تنتابه بسبب الإيمان:
_ لا أريد أن أهتم لأمر هؤلاء الملحدين مرة أخرى أيها المحترم.. فتفكيرهم يأخذوني إلى عالم من الضياع والضيق.

تبسم المحترم ثم قال له :
_ لأنهم بدلاً من أن يستخدموا العلم للوصول بالناس إلى تمام الهدى والنور؛ استخدموه للذهاب بهم مباشرة نحو الظلام.

قال الفتى اليافع:
_ ثم إن الناس أيها المحترم لا تحتاج إلى معلمين أو باحثين أو إلى مختبرات لتشعر بوجودها أو لتشعر بالإيمان وبأنها مخلوقة.. فإنك مثلاً إذا أردت أن تأكل؛ فإنك لست بحاجة لدراسة هرمونات الشهية وهرمونات الشبع والآليات الفسيولوجية لتبدأ الأكل أو التوقف.

وإذا أردت أن تنام؛ فأنت لست بحاجة إلى تعريف علمي للنوم أو دراسة المعايير الرئيسية التي تميز مراتب النوم لكي تنام.

وإذا أردت أن تعاشر زوجتك؛ فأنت تُقاتل من أجل ذلك ولا حاجة بك لدراسة مستقبلات الإثارة وما يحدث في الدماغ لتعرف أنك تريد المعاشرة والزواج.
وإذا ضحكت أو بكيت أو تألمت؛ فأنت لست في حاجة لأحد لكي يعرفك أن سبب الضحك والبكاء؛ هي أمور فسيولوجية عصبية تقوم بتنشيط القشرة الأمامية الوسطى للدماغ.

ولذلك أنت لست بحاجة للدراسة والبحث ثم التمحيص والفحص لكي تعرف كل ذلك.. ولذلك أيضاً أنت لست في حاجة لأي أحد لكي يخبرك بأنك مخلوق وأن هناك من خلقك! بل يكفى أنك موجود فقط لتعرف ذلك.

المحترم بادٍ على وجهه الرضا والانشراح لكلام الفتى اليافع:

_ أحسنت أيها الفتى اللامع.. أحسنت ماشاء الله!

وكل ما سمعته مني أيها الفتى اللامع؛ ما هو إلا السبيل المستقيم والحق المبين وأنت تحس بذلك في نفسك وتعرفه وكأني أكلمك على شيء موجود فيك.. وهذا هو أكبر دليل!

وإذا كنت تسأل: أوحق ما أقول؟ فإني مقسم لك بالله ربيّ وربك بأنه حق مثلما أنك مني وماء خرجت منه إنسان يستطيع أن ينطق ويتكلم.

سكت الفتى اليافع وأخذه التفكير بعيداً وقد تكشفت عنده أشياء.. أشياء من مثل أنه الله هو الذي خلقه.. وكم أن الله قريب منه.. وكم أن الله يحبه! أولا يكفيه دليلاً على حب الله له؛ أنه خلقه وسواه.. فجعله بشراً قد كرمه على باقي الأنواع والمخلوقات جميعاً.. وسخر كل ما في الكون لهذا الإنسان.. وذلك هو الله ربُّ العالمين.

المحترم ودااينال وإلياس ينظرون إلى الفتى اليافع وهو آخذ يفكر.. ثم بعد هنيهة أفاق الفتى فقال يشكر المحترم:

_ شكراً جزيلاً لك أيها المحترم.. أستئذنك!

بدأ الفتى اليافع يمشي فقال المحترم له:

_ إذا أردت أي شيء مني؛ فاسأل عني الطبيب يحيى.. الطبيب يحيى القادم علينا هناك.
وأشار ناحية الطبيب يحيى وهو قادم نحوهم

وماسكاً بإصباعيه على شفته وقد أخذه هذا الحديث بعيداً جداً قال:
_ شكراً جزيلاً أيها المحترم.. وأعتذر عن أية مُضايقات. _ثم استدار ذاهباً _

الطبيب يحيى مُقبلاً عليهم.. وبعد أن وصل قال المحترم مصافحاً:
_ كيف هي الأحوال أيها الطبيب.. ماذا تُخفي وراءك من أخبار؟

قال الطبيب يحيى:
_ أنا قادم من عند آدم.. _نظر المحترم أمامه على انقباض في نفسه يُخفِيه_ وهو في أسوء حالاته!

المحترم يحاول أن يُسيطر على نفَسه ومازال ينظر أمامه.. ثم قال:
_ استغفر الله.. _وأخذ يكررها حتى أبصر ما هو فاعل.. ثم قال وهو على وشك التحرك:
_ هيا.. فلنذهب إليه! دانيال.. إلياس.. أقبلا.. هيا !

❊ ❊ ❊

الفصل التاسع

وفي المشفي.. وفي إحدي الغرف؛ أنينٌ غير متوقف.. شخصٌ مطروحٌ على فراش ليس بنائم ولا يقظان.. وإنما هي تلك الحالة المصاحبة للمرض، حيث ألــم في الرأس وجميع الجسد.. ألمٌ لا يجعله بنائم أو يقظان.. فقط ألــم غير متوقف.

وجسده نصفه السفلي عليه غطاء.. وأما يده فمليئة بدماميل مكتملة وتقرحات.. وكذلك وجهه عند شفتيه وأذنيه.. وظاهر أن جسده كله كذلك مملوءٌ بالتقرحات والدماميل.. ومع أنين المريض ذاك؛ يُسمع صوت خنفرة خافتة آتية من فمه غير مكتملة.. وهذه الخنفرة غير مكتملة بسبب تلك الأشياء المتراكمة في فمه من تقرحات وغيرها.

بدأ هذا المريض ينتبه من معانته وعذابه ذاك على ألمٍ يفُت عظامه.. بدأ ألــمه يرتفع وتأتيه رجفة ورأسه يُحلق بها ببطء.. يُحلق بها تارة يميناً وأخرى يساراً من شدة الألم والعذاب الذي هو فيه.. ويظهر على هذا المريض أنه يجد صعوبة في أخذ نفسه رغم تلك الأنابيب التي في أنفه والتي تمده بالهواء.

يا ترى.. ما هذا الألم الذي يشعر به هذا المريض؟ إذا ما أراد أن يُحرك بعض جسده؛ فصعوبة الدنيا في ذلك.. صعوبة في التحرك مخلوطة بذلك الألــم الذي يفتّ العظام.. وعلى هذا الألم الغريب؛ يتكلم هذا المريض ببعض الكلمات قائلاً:

_ الويل لي.. يا ويلي !

* * *

وصل الجميع إلى غرفة آدم.. فوجدوا أحد الرجال واقفاً خارج الغرفة.. ويبدو أن هذا الرجل هو الذي كان واقفاً مع المحترم منذ ساعات أمام غرفة دانيال.. وما إن وصل المحترم إلى غرفة آدم ؛ حتى أخذ ينظر من خلال النافذة فأصابه الفزع والهول عندما رآى آدم ؛ فبدأ يتكلم بكلام بصوت منخفض يستعيذ فيه بالله.. أتى دانيال متأخراً؛ فأخذ ينظرإلى آدم من خلال النافذة؛ فرأى شخصاً مغطى بالتقرحات والدماميل؛ فأخذ يمعن في النظر من هول المنظر وقد أصابه الفزع.. ثم قال:

_ ماذا به؟

قال المحترم وقد بلع ريقه:

_ إنه مُصابٌ بالايدز.

فقال دانيال وازدادت فزعته:

_ يا إلهي !!

الكل واقف ينظر .. ثم قرر المحترم أنه سيدخل على آدم الغرفة؛ فقال الطبيب يحيى:

_ لا أيها المحترم! هذه غرفةٌ تابعة لقسم الحجر الصحي.. ولا يدخلها أحد إلا بوقاية ولباس خاص معقم.

نظر المحترم إلى الطبيب يحيى؛ ففهم يحيى أنه أيّاً كان فإنه سيدخل.. فقال له يحيى:

_ تعال من هنا أيها المحترم !

فأخذه وألباسه وعقَّمه ودخل معه.. ثم مشى المحترم ناحية آدم.. ووصل عند سريره وأخذ في نزع القفازات الواقية؛ فحاول الطبيب يحيى بأن يمنعه؛ فقال له المحترم:

_ فقط لا تخبر أحداً ولا تفعل مثلي!

ومدَّ يده بحذر ليأخذ بيد آدم المليئة بالدماميل والتقرحات.. والمحترم كان حذراً لئلا يكون يؤلمه وليس خوفاً من الدماميل والتقرحات. أدخل المحترم إحدى كفيه تحت كف آدم ووضع الأخرى فوقها.. يشعر آدم بيـدٍ عارية تحسه.. شعر بها رغم كل تلك الألآم الجسدية والألآم النفسية التي تنتابه في تفكيره ومخيلته والصرخات التي يسمعها.. وكل هذا بسبب الخلل الذي في جسده1 .

يحاول آدم فتح عينه بصعوبة بسبب تلك التقرحات حتى على جفونه.. ثم قال بعد أن فتحها بصعوبة:

_ العذاب وقع أيها المحترم !!

وقعت كلماته على المحترم تزلزله.. واقشعر جسده وامتلئت عيناه بالدموع.. وحاول جاهداً أن يتمالك نفسه وقال:

_ عرفتني يا آدم حتى دون أن تنظر إليَّ.. حتى إنني لم أتكلم أصلاً !

---

1 _ وبسبب المرض الذي في جسد "آدم"؛ اتخذ إبليس اللعين مخيلة "آدم" مسرحاً ليمسه بالألآم والعذاب والصرخات.

قال آدم :

_ العذاب أذوقه ألواناً وأشكالاً.. إنها البداية بلا رجوع.

تكلم آدم بخنفرة وانسدادٍ في حلقه أسكته.. وانقطع نفسُه وحاول إرجاعه.. وتساقطت دموع من عيني المحترم.. وعمَّ الصمت طويلاً إلا عن تألمات آدم.. المحترم لازال واقفاً ولكن الطبيب يحيى ذهب؛ فقد جاءته منادة على هاتفه.. وأما دانيال وإلياس فهما واقفان بالخارج ينظران من النافذة هما وصديق المحترم.

توقف أنين آدم ليقول:

_ الويل لي.. إنني من الظالمين.. يا ويلي!

وسقطت دمعتان من عينه ولا قدرة له على غيرهما.. فهو حتى لا يستطيع البكاء! تدارك المحترم نفسه وقال :

_ آهٍ يا حبيبي آدم.. قلبي يتفطر على حالتك!

سكت المحترم قليلاً.. ثم قال:

_ أولست تؤمن بالله يا آدم؟

قال آدم.. ومازال يواجه صعوبة في التكلم:

_ وهل تحسب مثلي.. جابته أفعاله إلى ماترى من العذاب.. أن يكون له إيمان؟!

حاول آدم أن يغمض عينه من شدة الألم.. ثم قال وهو مغمض؛ فلم يستطع فتحهما:

_ لم أعبأ بكلامك لي أيها المحترم.. فهل تذكر عندما قلت لي إن الله يغار عليَّ.. ولا يرضى أن أكون لواطي؛ لأن أفعالي تنتهك حماه ومحارمه.. وعليَّ أن أحذر وإلا فإنني سأذوق العذاب نتيجة أفعالي؟ ولكنني لم أستمع إليك بل تماديت في ظلمي.

وفي أثناء كلامه؛ أصابه السعال.. فأخذ يسعل وبدا عليه وهو يسعل بأن شيئاً ما سيخرج من حنجرته بسبب تلك التقرحات والدماميل التي في داخل فمه.. ثم توقف عن السعال وضغط على فكيه بعدما أحسَّ بأن مخه سيطير فحاول تثبيته بالضغط على فكيه.. ثم قال المحترم:

_ مهما يكن وفعلت أو تماديت أو ظلمت نفسك! إن الله يغفر كل ذنب.. وليس هناك ذنب له أن يتعاظم على رحمة الله ومغفرته.. بل إن الله رحيم عظيم الرحمة يغفر الذنوب جميعاً.

أتت آدم رجفة ولا يُعلم أكان يستمع للمحترم أم ماذا! ثم سكن وهدأ نسبياً بالقياس مع الحالة التي كان فيها.. وبعد هنيهة مشى المحترم إلى المرحاض الذي في الغرفة.. ثم خرج ويظهر أنه غسل وجهه وذراعه، وقبعته كانت منزوعة.. لمح آدمُ المحترمَ فقال له في زفير وشهيق باءنين:

_ ها أنا ذا أحاول أن أصبر على ما أنا فيه؛ فلا أجد للصبر نفعاً مع هذا الألم.. ثم أبدأ في الصرااخ من شدة الألم؛ فلا أجد في الصراخ نفعاً هو الآخر ولا هو مذهب عني ما أنا فيه.. الويل لي! إن عذاب الأخرة درجات فوق ذلك.

قال المحترم وكله إشفاق:

_ مادمت نادماً على ما كان منك من الذنوب؛ فأنت لست بمُعذب في الآخرة.. وواجب عليك أن تطلب التوبة من الله وأن يغفر لك ويعفو عنك.

يحاول المحترم أن يُخفف عنه ما استطاع.. وأخذ يحاول أن يُعلمه دعاء يدعو الله به؛ لعله سبحانه يُفرج ما به من المرض فقال:

_ يا آدم ! قل ورائي ما سأقول؛ فلعل الله أن يُفرج ما بك !

استفتح قائلاً.. وكان الكلام مصبوباً وكأنه قد أُسيل من القلب:

"يا تواب !

إني عبدك .. خلقتنى ثم ما كان مني إلا الغفلة وعدم المبالة.. تماديت ظالماً مجرماً وقد أمهلتني وسترتني.. ولكني لم أتوقف أو أعود.. بل تطاولت في الفُحش وظلمت نفسي زيادة.. ومن شدة ظلمي أنني فتنت غير في أمر اللواط فصرت مرشده للضلال وسبباً له حتى ضلَّ.

بدأ وبال أفعالي وبدأ المرض يُخيِّم على نفسي وجسدي.. لكنني ركنت إلى أن ذلك عارض وسيزول كالعادة.. ولكنه لم يكن عارض كما اعتقد؛ بل كان العذاب الذي كنت أتجاهله.. أعوذ بوجهك يا أرحم الراحمين! أعترف بعظيم سترك وإمهالك لي.. أعترف بما ظلمت به نفسي.. انصرني وأعذني من شر ما فعلته وصنعته يا أرحم الراحمين!

يا أرحم الراحمين ! كل الأسباب تُظهر بأني ولا محالة غير ناج من مرضي هذا الذي أُصبت به.. وأنه لا مفر منه.. إلا أنني ما زال عندي أمل ورجاء في أن تنجيني برحمتك.. عندي أمل في رحمتك وقد اجتمعت كل الأسباب بأن أُلقى في الجحيم.. انصرني ونجني مما أنا فيه وما حلَّ عليّ من المرض والعذاب.. ارحمني واعف عني واقبل توبتي.. إنك على كل شيء قدير!

عمدَّ المحترم إلى مقعد ليجلس وترك آدم على إعياءه وتسليمه.. جلس المحترم وخرَّ بذقنه حتى أسنده إلى صدره.. وأخذ يكرر ما قاله الله تعالى وكأنه يراه:

_ ورحمتي سبقت غضبي..

ثم جاء صوت من جهة آدم وكأنه يدعو ويقول:

_ رب ارحمني! رب اعف عني.. رب اقبل توبتي.. ربِّ اكشف عني الضُرَّ إني عائد تائب إليك! اجعلني آية منك.. آية منك على عظيم عفوك ورحمتك.. آية منك أُحذر من هم أمثالي من اللواطين من العذاب الأصغر قبل العذاب الأكبر في الآخرة.. العذاب الأكبر حيث الشعور فيه بالغثيان أضعاف مضاعفة ما أنا فيه الآن.. الدماغ ستغلي في العذاب الأكبر.. البطن والأمعاء ستتقطع.. الوجهه سيُشوى.. وظلٌ من الدخان لعين لا ظل فيه.. ورائحةٌ منتنة.. وصرااخ من شدةالعذاب الأليم!!

يا أرحم الراحمين ! أُحبني برحمة منك واجعلني ءاية منك أصيب بها من خلفي برحمتك يا رحييم!!

سمع المحترم آدم وهو يدعو.. ثم أخذ على شاكلته يدعو. وبعد حين خرج المحترم من الغرفة فوجد أن إلياس قد ذهب.. وأما دانيال فوجده جالساً وساناً رأسه إلى الحائط خلفه.. ووجد يوسف صاحبه قد غلبه النُعاس فنام؛ فأيقظه المحترم ثم مشوا ناحية غرفة دانيال.. ثم أخبرهما أنه ذاهب لقضاء حاجة ولا داعي لأن يذهب أحد معه.

أخبر دانيالُ يوسفَ قائلاً:

_ يمكنك أن تنام هنا _وأشار ناحية السرير_ وليس هناك أي إحراج عليك.

قال يوسف:

_ وأنت.. ألن تنام الآن؟

قال دانيال مبستماً:

_ لا.. سوف أظل مستيقظاً وسأنتظر المحترم حتى يأتي.

مكث المحترم حيناً من الوقت ثم عاد وشيء معه في يده.. فدخل الغرفة؛ فوجد يوسف على السرير نائماً، ودانيال جالس على الأريكة.. رأه دانيال فاعتدل في جلسته.. فألقى المحترم عليه التحية ثم قال:

_ هل تعرف ماذا أحضرت؟ أحضرت كاميرا من أجل أن أصور آدم على حالة المرض التي هو فيها.

فقال دانيال:

_ ولماذا ذاك أيها المحترم؟

قال المحترم:

_ أريد أن أصوره وأحتفظ بتلك الصور حتى إذا شُفي من مرضه؛ لم ينسى ما كان فيه.

قال آدم:

_ هل من الممكن الشفاء من هذا المرض أيها المحترم؟

قال المحترم:

_لا أحد يعلم! فكل الأسباب تُظهر أنه لا شفاء من هذا المرض.. ولكن الله هو ربُّ الأسباب.

سأله دانيال قائلاً:

_ كيف تم لآدم أن يتمادي في أمر اللواط حتى يصل إلى ما هو فيه؟

أجابه المحترم قائلاً:

_ هيا لنذهب سوياً إلى غرفة آدم وسأخبرك ونحن نمشي.

خرجا من الغرفة متجهين إلى ناحية آدم.. وفي الطريق قال المحترم:

_ هؤلاء الأحباب اللواطيون مربطون فكرياً وجسدياً.. ويحتاجون من يُريهم قيدهم ويفكه لهم.. ويُوقظهم من غفلتهم ومن نومهم وإلا أيقظهم العذاب أو الموت.

قال دانيال:

_وكيف يتم فك قيد هؤلاء الأحباب؟

أجاب المحترم:

_ أعتقد أنه واجب علينا أن نُنشيء مكان خاص.. مكان خاص نسميه روضة.. فيستطيعوا في هذا المكان أن يروا قيودهم ويفكوها ويعودوا لطبيعتهم ورجولتهم.. يعودوا إلى رجولتهم

ويثقوا في أنفسهم ورجولتهم حتى ولو اجتمع أهل الأرض كلهم يُريدون إرجاعهم إلى اللوط؛ فلا يبالوا لهم.. بل يكون لسان الواحد منهم: ما بال الناس هكذا مجتمعين قد ازدحموا وأغلقوا الطرقات يريدون أن يرجعوني إلى اللواط ولكني لست أبالي لهم.. لا أبالي لهم لأنني مشغول جداً بحبي للنساء وما يمكنني أن أفعله بهن.. ماذا أصابهم هؤلاء الناس؟

قال دانيال ضاحكاً من وصف المحترم:

_ لماذا قامت وصارت شهوة هؤلاء الأحباب معكوسة؟ ولماذا نشزت أنفسهم وخرجت عن مسارها؟ ولماذا لا تقوم وتنصب شهواتهم في مسارها مسار الرجال؟

أجاب المحترم قائلاً:

_ كل هذا بسبب جُرح قد جُرحت إيّاه أنفسهم في مكان العورة.. في مكان الدبر.. وكان السبب في هذا الجُرح أنهم تعرضوا للاعتداء وللانتهاك في صغرهم؛ فبقي أثر هذا الجرح وأتي الشيطان اللعين ورسم للنفس الإعوجاج فاعوجت.. وزين اللواط لهم فاتبعوه.

قال دانيال:

_ أولم يكن هناك من شيء ليقف في وجه هذا الشيطان اللعين ويمنعهم من الوقوع في اللواط؟

قال المحترم:

_ بالطبع يوجد من يقف في وجه الشيطان اللعين! وهي النفس الإنسانية بفطرتها.. والفطرة الإنسانية عندها القدرة على التحمل واللوم وتصحيح الشذوذ.

قال دانيال:

_ ولماذا لم تمنعهم أنفسهم من الانجراف والوقوع في اللواط؟ ولماذا لم تقف تلك النفس أمام الشيطان اللعين؟

قال المحترم:

_ البيئة والنشئة التي عاش فيها هؤلاء؛ هي التي تسببت في خروج فاحشة اللواط.. وهي التي سهلت الأمر كثيراً جداً؛ لأنها بيئة لا يوجد فيها من يُراقب الصغار ولا يعرفهم ما يجب فعله وما لا يجب فعله.. ولا يوجد في تلك البيئة أيضاً من يعرفهم الأمور التي هي من الفطرة والأمور التي هي من الشيطان.

قال دانيال :

_ وكيف هو عمل الشيطان اللعين في اللواط؟

قال المحترم:

_ كل عمل الشيطان اللعين؛ هو أنه يأتي على مواضع الجروح النفسية ويوقظها.. وأنه يُذكر النفس بما حدث معها من مواقف انتهاك واعتداء، وحب النفس للقرب والحنان؛ فيأخذ من كل تلك الجروح وكل تلك المشاعر؛ مشغلاً يرسم فيه اعوجاجه لإيقاع هؤلاء في فاحشة اللواط.

قال دانيال:

_ هل الشيطان له قدرة فعلاً على أن يوقعهم في هذه الفاحشة؟

قال المحترم:

_ الشيطان ليس له قدرة حتى يبتكر تلك الفاحشة؛ بل كل عمله هو أنه يأتي ويوسوس لهم عن طريق ما جربوه وتذوقوه فقط.. ولأن الناس ليس عندها زاجر يزجرهم أو رادع يردعهم؛ فإنهم سوف يتبعون سبيل الشياطين من دون أي عائق.

ولتعلم يا دانيال!

أن الشيطان أخرق وبليد بفطرته.. وليس بذي قدرة حتى يستطيع ما يستطيعه.. وإنما هكذا خلقه الله وجعل له أن يتذكر أفعال الإنسان، ولكل إنسان؛ شيطان يُصاحبه مدى الحياة.. فيبدأ اللعين من هاهنا وسوسته وإيحاءه ما يوحيه.. ويبدأ يُزين الفاحشة والعدوان.

واعلم أيضاً يا دانيال! أن الشيطان غاوي لا يتوقف عن إغواءه.. وأنه ليس له قدرة على أن يصور للإنسان تصورات لم يراها من قبل.. بل هو يعمل على ما هو مخزون في ذاكرة ذلك الإنسان.

وصل المحترم ودانيال إلى غرفة آدم.. فدخل المحترم إلى الغرفة وكان آدم على حالته السابقة ولم ينتبه للمحترم.. ثم أخذ في التقاط صورٍ له على تلك الحالة.. ثم جلس المحترم على كرسي وأسند ظهره إلى الوراء وأغمض عيناه.. ولم يمكث طويلاً ثم قام خارجاً.

* * *

الفصل العاشر

وفي النهار التالي جاءت سارة إلى غرفة دانيال.. ونظرت من النافذة؛ فوجدته وحيداً.. وكان نائماً على الأريكة.. طرقت الباب وقالت:

_ دانيال! هل أدخل ؟

انتبه دانيال من نومه على صوتها.. ثم قال وأخذ يمسح بيده على وجه:

_ نعم نعم.. ادخلي.. تعـالَي.. كيف الحال؟

كل ذلك وهو مبتسماً لها ويحاول تجميع صورتها.. فلوحت له ضاحكةً؛ فضحك إليها دانيال وقال وكله حنان:

_ كيف هي حالك؟

قالت مبتسمة وهي تنظر في عينه:

_ بخير.. كيف هي حالك أنت.. _وبعد هنيهة_ اليوم هو يوم خروجك!

قال ضاحكاً:

_ نعم يا مليكة.. فقد مكثت شهوراً هنا.

فأخذا يضحكان.. ثم استأذنها في دخوله الرحاض ينتعش.. دخل المرحاض وأخذ يغسل وجهه.. وهو على الحوض قالت سارة له:

_ أوتعلم.. _وما إن بدأت تتكلم والماء على وجهه يتقطر؛ إلا وتذكر كل ما حدث في الأيام القليلة الماضية.. فأخذه التفكير بعيداً.. ثم مشت سارة نحوه وكان باب المرحاض مفتوحاً.. ووقفت أمامه؛ فقال لها:

_ معذرة.. ماذا كنت تقولين؟ _ثم ابستم إليها_

قالت سارة:

_ المحترم إسحق قابلته عند المدخل.. وقال أنه ذاهب إلى مكتبه.

استمع إليها دانيال بإنصات هذه المرة وقد فتح عيناه باتساع.. وكأنه استوعب ما قالت بعينيه؛ فهو لا يريد أن يشعرها أنه غاب هذه المرة أيضاً.. ثم قال :

_ جميل.. جميل.. ولربما ذهبنا إليه اليوم.

ثم انتبه إلى الماء المتدفق من الصنبور وأخذ يكمل غسيله.. ومشت هي ناحية النافذة ونظرت إلى الحديقة وقالت:

_ الحديقة جميلة.. تبدو جميلة من هنا.

قال وقد أقبل عليها والمنشفة في يديه:

_ عليك أن تشاهديها في الليل.. وكأنها قطعة من الجنة... _ثم نظر أمامه يفكر_ ما رأيك أن آخذك ونذهب إليها هذه الليلة؟

قالت سارة ولم تُمانع:

_ لا مانع عندي.. ولكن علينا أولاً أن ننهي أمر خروجك من المشفى.. هيا! فضحك إليها دانيال وحبها يتملك كل قلبه.

وفي المساء أخذها دانيال إلى تلك الحديقة وجلسا على الآريكة التي جلس عليها في الأمس، قال دانيال:

_ أترين كم المنظر جميل!

قالت سارة:

_ نعم.. الحديقة جميلة كما وصفت. _ونظرت إليه_

فقال دانيال:

_ كنا نجلس البارحة أنا وإلياس والمحترم إسحاق.. وقد قال شيئاً جميلاً.. قال شيئاً جميلاً فازداد هذا الجمال جمالاً.

قالت سارة:

_ أحقاً.. وماذا قال ؟

قال دانيال:

_ قال لي وكنا ننظر إلى هذا المشهد الذي أمامنا الآن: ألا يجعلك هذا المنظر ترى كم أن الله طيب!

فالله هو من جعل كل هذا.. وكل هذا بما يحتوي من سمات وطبائع هو من خلق الله.

كلما تكلم دانيال تشعر سارة بأنه قد ازداد منها قرباً.. يعم الصمت قليلاً حتى يقول دانيال؛ فأخذت سارة تنظر إليه:

_ قديماً كان هناك أحد الرجال الصالحين.. وقد مرَّ هذا الرجل على قرية ليس فيها أحد.. خاوية لا أحد فيها.. فأخذ يتأمل ثم سأل: كيف لهذه القرية وأهلها موتى كلهم؛ أن يُحييهم الله؟

وهذا الرجل الصالح تعجب كيف لله أن يُحييهم.. فلم يدري إلا والله يسأله بعد نومه:

_كم لبثت نائماً؟ فقال الرجل الصالح لله: نمت يوماً أو أكثر من يوم.. _لا يدري_ فقال الله له: إنك لبث مائة عام!

ثم أراه الله من قدرته سبحانه شيئين متناقضين.. أراه كيف أن أكله وشربه لم يزالا كما هما منذ المائة عام.. ولكن دآبته التي كان يركبها قد صارت هيكلاً عظمياً.. ثم أراه الله كيف أنه سوف يُحيي هذه الدآبة مرة أخرى ويكسو عظامها لحماً أمام عينيه.. ثم عرف هذا الرجل الصالح كيف أن الله على كل شيء قدير.. وصار هذا الرجل آية للناس على قدرة الله في إحياء الموتى وأنه على كل شيء قدير.

قالت سارة مستغربة:

_ وهل بقي طعامه وشرابه كما هما بعد مائة عام بالمقارنة مع دآبته التي تحولت إلى عظام؟

نظر إليها دانيال وقال:

_ نعم! وهذا لتعلمي _ثم تبسم لها _ أن الله قادر على كل شيء..

ثم نظر أمامه وقد ذهب تبسمه وقال:

_ وأنه هو ربُّ كل شيء.. وهو ربيّ وربُّك.. _ ثم سكت ونظر إليها _ وهو ربُّ ما بيني وبينك من المشاعر والحب.

يقشعر جسد سارة.. ويعمَّ الصمت.. ولا أدري أكان صمتاً طويلاً أما ماذا! ثم قال دانيال:

_ هل ترضين بي زوجاً لك؟ _ثم أخذ ينظر إليها وقلبه ينقبض مما يجده تجاهها.. وأما سارة؛ فصارت متفاجئة وأخذت تنظر أمامها بخجل ولم تُجب.

فقال لها دانيال في تبسمٍ:

_ هل أعتبر سكوتك هذا أنك موافقة؟

فضحكت ولم تُجب أيضاً.. فقال لها:

_ سأسهل عليك الأمر.. ما رأيك أن أريكِ خاتم الخطوبة!

ثبتت سارة نظرها أمامها.. ثم حاولت أن تبتعد به إلى أعلى في تبسم.. ثم مالت برأسها ناحية دانيال وأخذت تنظر إليه من خلف كتفها؛ فضحك لها.

لاحظ دانيال أن الخاتم ليس معه وقد وضع يده في جيبه ليُخرجه.. ثم قال:

_ يبدو أن الخاتم.. لا أدري.. ليس معي.. لا أعرف أين نسيته!

فقالت سارة مسرعة مخففة عنه وقد التفتت ناحيته:

_ لا عليك! لا يهم ذلك.. سوف تجده.. لربما نسيته في البيت أو عند إلياس.

حاول دانيال أن يتذكر ولكن من دون فائدة.. فقال لها غير مبال:

_ لا يهم.. إن كنا سنجده فلن يذهب بعيداً.

قالت سارة حزينة:

_ لربما كان في البيت أو عند إلياس.

فقال لها على تركيز محاولاً التذكر:

_ لا! ليس في البيت.. وليس عند إلياس أيضاً.. تعالَي معي!

قالت:

_ إلى أين؟

فأجابها قائلاً:

_ تعالَي فقط !

وصلا إلى محل مجوهرات؛ فقالت ومازالا في السيارة:

_ لماذا أتينا إلى محل مجوهرات؟

نظر إليها على ضاحكاً.. ثم أتى من ناحيتها لينزلها؛ فقالت:

_ أنت لم تعرف بعد ما مصير الخاتم الآخر!

قال دانيال:

_ لا يهم!

وأخذها ودخلا محل المجوهرات.

* * *

الفصل الحادي عشر

في اليوم التالي؛ ذهب دانيال إلى المحترم إسحق في مكتبه.. فوجده على باب غرفته واقفاً ونظره نحو النافذة التي أمام غرفته.. فرأى دانيال مُقبلاً عليه؛ فسبقه بالترحيب ومبتسماً قال:

_ أهلاً وسهلاً دانيال.. تهانينا على الخطوبة.

تبسم إليه دانيال قائلاً:

_إلياس لا يستطيع أن يكتم شيئاً.

ضحك المحترم وأخذه إلى الغرفة ثم قال له:

_ نعم ! هو الذي أخبرني.. وبالمناسبة! يوجد شيء وجدته في المشفي ويبدو أنه سقط منك.

فأعطاه عُلبة لخاتم.. فأخذها دانيال شاكراً وقال:

_شكراً جزيلاً أيها المحترم.. لقد كنت أبحث عن هذه العُلبة.

دخل عليهما إلياس؛ فقال:

_ دانيال! مرحباً.. هل هنئك المحترم بالخطوبة؟

ضحك دانيال منه ثم قال:

_ نعم ! في حال ما رءاني.

وفي أثناء محادثتهم هذه؛ مرَّ رجلان من أمام غرفة المحترم.. فنادى المحترم عليهما قائلاً:

_ السيد يعقوب.. السيد نوح !

توقف الرجلان قائلين:

_نعم أيها المحترم!

ويظهر من لباسهما أنهما يعملان مع المحترم في هذا المجمع أيضاً. وقف المحترم خارجاً إليهما وقد استئذن من إلياس ودانيال.. إلا أن إلياس خرج وراءه.. وأما دانيال؛ فوقف بجانب النافذة في غرفة المحترم ينظر منها. خرج المحترم إليهما.. ووقف إلياس بجانبه لكن إلى الوراء قليلاً.. وقد وقفوا جميعاً كلهم بجوار النافذة الكبيرة في الطرقة.. قال المحترم:

_ كيف هي حالكما؟

فردَّا معاً :

_ بخيرٍ أيها المحترم إسحق.

نظر المحترم إليهما.. واستفتح قائلاً:

_ استوقفتكما لأني سمعت شيئاً منتشر في الأرجاء عنكما؛ فقلت أتحدث معكما..

فقال الرجلان:

_كلنا آذان صاغية أيها المحترم.

فأكمل المحترم قائلاً:

_ أنتما تعلمان كيف أن الله أنزل التورة فكانت هداية للناس.. وقد وضح الله فيها تفصيل كل شيء _وأشار بيده حوله مُدلِلاً على كل شيء_ هداية للناس.. وعلمهم فيها كيف يحكمون بينهم فيما كانوا يختلفون فيه.. فكان على كل أحد أن لا يظلم نفسه ولا غيره ولا يفسد ولا يؤذي أحداً بغير حق.. ولا يفعل كل ذلك ولا غيره من الفواحش.. ولا يحاول إضلال الناس بأن يقول بأن الفواحش حلال من أجل ما يجد في نفسه من شهوةٍ تجاه تلك الفاحشة.

قالا الرجلان:

_ كلامك جميل أيها المحترم.

قال المحترم :

_ومن أبى من الناس إلا أن يُطيع ما يهواه وما يزينه له الشيطان؛ فما هو إلا منتظر عذاب الله في هذه الحيوة الدنيا قبل الأخرة يأيدي رجالٍ صالحين أو بأيدي مفسدين مثله يهلكان معاً ويبقى الصلح والنفع.

قالا الرجلان:

_ نصائحك قيمة ومؤثرة أيها المحترم.

فقال المحترم:

_ كيف تستحلان اللواط وأنتما تقرأن التوراة وتدرسونها؟

نظرا الرجلان إلى بعضهما.. ثم قالا:

_ وكيف عرفت ذلك أيها المحترم؟ وأين هو دليلك على ما تتهمنا به؟

أجاب المحترم:

_ليس معي دليل.. ولكن.. أريد ان أسمع رأيكما في فاحشة اللواط!

ردَّا الرجلان قائلين:

_ ليس في فعل اللوط من شيء.. فهو علاقة حب بين شخصين يواجهان مشاكل في تقبل النساء.. وما دام هناك حب؛ فإن الله سيكون موجوداً معهما بسبب هذا الحب.

قال المحترم:

_ وما الدليل على صدق ما تقولان؟

ردَّ الرجلان قائلين:

_ الدليل هو أن اللواطين موجودون بيننا.. وهذا دليل كافٍ لإثبات أن اللواط أمر طبيعي في البشر.

قال المحترم:

_ طيب.. وماذا عن الذين يتمتعون باغتصاب الأطفال وانتهاكهم؟ فإنهم بشر من الناس أيضاً.. فهل هذا يُعتبر دليل على جواز انتهاك الأطفال؟

ردَّ الرجلان قائلين:

_هذا قياس فاسد وباطل أيها المحترم.. لأن هؤلاء الرجال مرضى؛ لأنهم يعتدون على أطفال لا يعرفون شيئاً.. وأما اللواط؛ فهو بين الكبار الذين يدركون ما يفعلون.

قال المحترم:

_ فما رأيكم في المحارم الذين يتمتعون بـزنى بعضهم؟

نظر الرجلان إلى بعضهما ثم أجابا قائلين:

_ مهما يكن أيها المحترم.. فإن المثلية والشذوذ واللواط؛ ناتج في الأصل عن عوامل جينية وهرمونية ونفسية عند الإنسان.

قال المحترم:

_ طيب وماذا عن ذاك الشخص الذي كان يستمتع بالفاحشة مع الفتيات والفتيان؛ ومن ثم يقتلهم ويشوه صورتهم؟ أولا يُعتبر هذا نتيجة عوامل جينية وهرمونية ونفسية عند ذاك الشخص؟

قال الرجلان:

_أيها المحترم! إن المثلية الجنسية والإزدواجية بين الذكور موجودة أصلاً في الطبيعة.. وإذا نظرت إلى "الإوز الأسود" ستجد المثلية والإزدواجية.. وفي حيوان الزراف أيضاً سوف تجد

المثلية والإزدواجية.. وفي الكلاب والحمير والأسود والدلافين والبط والجاموس الأمريكي سوف تجد المثلية الجنسية في كل تلك الحيوانات.

قال المحترم:

_لقد ألبستما الأمور في بعضها.. ألبستما الأمور عليكما حتى تجدان مخرجاً لكما لشذوذكما وانحرافكما.

قال الرجلان :

_كل ما ذكرناه لك أيها المحترم عن ازدواجية الحيوانات والمثلية الجنسية في تلك الحيوانات؛ هو مُثبت وموثق.

قال المحترم:

_أنا أعلم كل ذلك..

قال الرجلان:

_ولماذا تستغرب المثلية الجنسية فينا أيها المحترم إذا كنت تعرف ذلك؟

قال المحترم:

_لأنكما تتكلمان عن حيوانات.. أما أنتما؛ فـ بشر!

أنتما تتكلمان عن حيوانات لا تستطيع أن تتحكم في نفسها وتلجأ لفعل الشذوذ في حالات نادرة جداً جداً.. في حالات نادرة جداً عندما لا تجد إناثاً لتفريغ شهوتها المكبوتة.

قال الرجلان:

_وماذا عن معيشة الذكور سوياً معاً ومشاركتهم في بناء الأعشاش وتربية الصغار؟

قال صاحبي:

_هذه حيوانات ! لماذا لا تفهمان؟ هذه حيوانات لا يمكن مقارنتها بأي حال من الأحوال مع الإنسان.. فهذه حيوانات لها سلوكياتها الخاصة ولا يمكن أن يُقاس الإنسان عليها.. بل الإنسان هو الذي يقيس نفسه على تلك الحيوانات ويستغرب من أفعالها.

قال الرجلان:

_مهما يكن! فالإزدواجية بين الذكور والمثلية الجنسية من الأمور الطبيعية جداً.

قال صاحبي:

ومن الأمور الطبيعية أيضاً:

- أن الإخواة والأخوات في عالم الحيوان يتزاوجون معاً ولا توجد مشكلة في ذلك.
- وأن أنثى العنكبوت عندما تفرغ من معاشرة زوجها؛ فإنها تأكله من شدة الجوع.. وصغار العناكب عندما تخرج من البيض؛ فإنها تتجمع على أمها وتأكلها.
- وذكر الأسد عندما يسيطر على مجموعة إناث جديدة؛ فإنه يقتل كل أشبال الذكر السابق ويفرتك أجسادها الصغيرة فرتكةً.

قال الرجلان:

_ لماذا أيها المحترم تحاول أن تقارن المثلية، حيث الحب والرغبة التي تجمع بين رجلين؛ وبين المرضى النفسيين مرة، وبين العدوان والقتل مرة أخرى؟

أجاب المحترم قائلاً ومنتفضاً:

_ لكي أعرفكما أن ما تزعمانه لا يقوم عليه أي دليل.. بل إنكما تتبعان أهواءكما.

أخذ المحترم ينظر إليهما .. إلا أن الرجلين لا يستيطعان النظر إليه بعدما أسكتهما بالحجة.. ثم قال المحترم:

_ ثم إنني قد سألتكما عن دليل؛ فلم تأتياني بشيء.. وتكلمتما بلا علم.. وتكلمتما وكأنكما كباقي العوام من الناس الذين لا يعلمون.

قالا الرجلان:

_وأي دليل تريد أيها المحترم؟

أجاب المحترم قائلاً:

_دليل من كلام الله في التوراة.. التوارة التي فيها حكم الله.. والله قد أمرنا بأننا إذا ما اختلفنا في شيء؛ فأن نرجع إلى كلامه سبحانه.. دليل كهذا الذي في التوراة:

- لا تُضاجع ذكراً مضاجعة امرأة.
- إذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة؛ فقد فعلا رجساً كلاهما.. إنهما يقتلان ودمهما عليهما.

نظر الرجلان إلى بعضهما ولا يجدان أي إجابة.. ثم واصل المحترم قائلاً:

_ لو أننا تركنا كل إنسان فاسد يفعل ما يحلو له؛ فإن هذه الحيوة لن تستمر.. لن تستمر ولن نعطي فرصة حتى للأجيال القادمة؛ لأن كل شيء ببساطة سوف يصبح خراباً في هذه الحياة.

قال الرجلان:

_ إن الله ترك لنا الحياة نعيش فيها هكذا.. ثم سيغفر لنا سيئاتنا؛ لأنه هو ربنا.. لا شيء أكثر ولا أقل.. نختار لها ما نشآء.. والكل يختارون ما يشاءون.

انتفض المحترم مرة أخرى قائلاً:

_ أما زلتما تتكلمان من غير دليل؟ إنكما بهذه الطريقة تكونان مثل أكثر الناس.. يعبدون أهواءهم ولايعبدون الله.. إذا أردوا فعل إحدى الفواحش؛ ذهبوا إلى أهواءهم التي يعبدونها من دون الله، واستئذنوها في فعل ما أرادوا من الفواحش.. ولم يبالوا إن كانت هذه الأهواء لا تنطق أو تتكلم أصلاً.

قال الرجلان:

_وماذا تريد منا أن نفعل أيها المحترم؟

قال المحترم:

_ توقفا عن الإصغاء إلى الشيطان الذي يُشعل الشهوات عندكما ويوقدها لكما!

وتوقفا عن القول بأن الله غافل عما خلق بعيد عنهم.. ولا تقولان بأنه سبحانه يرضى بالفواحش.

قال أحد الرجلين:

_ وكيف هو الله أيها المحترم؟

أجاب المحترم:

_ هو الله الذي هو رقيب على كل شيء وشاهد على كل شيء أيضاً.. لا يغفل عنه شيء في الأرض ولا في السماء ولا حتى أن يبتعد شيء فيهما عن رؤيته وعلمه. وهو الذي يُؤجل محاسبة الناس إلى يوم القيامة.. يوم القيامة الذي لولاه لجآء للناس العذاب الأليم الشديد من الأرض تحت أقدامهم أو من السماء فوق رؤسهم على ظلمهم وضلالهم.

قال الرجلان:

_ الله رحيم لا يعذب خلقه.

ردَّ المحترم:

_ هو رحيم ويغفر الذنوب.. ولكنه ينتقم أشد الانتقام ممن ينتهكون حرماته.

نظر الرجلان إلى بعضهما ولا يعرفان ماذا يقولان للمحترم.. ثم قال أحدهما بعدما طأطأ رأسه ينظر إلى الأرض يتذكر ويفكر:

_ وكيف نخرج أيها المحترم من هذا الشذوذ واللواط ونحن ممزوجون به وهو يشغل كل تفكيرنا؟

قال المحترم:

_ عليك فقط أن تجعل في نفسك أنك في ظلم وضلال وأنك تُريد أن تخرج مما أنت فيه حتى وإن كنت لا تعرف كيف السبيل إلى ذلك.. اجعل في نفسك أنك ظالم وفي ضلال؛ وستجد الطرق تتفتح أمامك.

اجعل في نفسك أنك تُريد حقاً أن تخرج مما أنت فيه؛ وسترى كيف أن الله يهديك إلى ما فطرك وخلقك عليه.. وسترى كيف هو إنجاء الله وتطهيره لك.. ومن ثم لن تجد في نفسك إلا أن تقول وأنت مذهول متضايق: كيف كنت على ما أنا عليه؟! وستندم لكونك كنت كذلك.. ثم تطلب من الله أن يتقبل توبتك ويغفر لك ذنوبك.

قال أحد الرجلان:

_الأمر ليس كما تعتقد أيها المحترم.

قال المحترم:

_ فقط اجعل في نفسك ما قلته لك؛ وسآءتيك أخبرك كل شيء عن اللواط والشذوذ وكيف صار إليك وعن كل شيء فيه.. وأن أمر اللواط؛ ما هو إلا تزين وكيد من الشيطان اللعين.. وتذكر أنك لست كما تظن في نفسك؛ بأن اللواط أصل فيك.

وبينما المحترم يختم معهما الحديث تتصل سارة على دانيال وهو مازال في غرفة المحترم فرَّد قائلاً:

_ مرحباً.. كيف هي أخبار كل هذا الجمال الآن ؟

قالت سارة:

_ أفتقدك كثيراً.. _سكتت لوهلة وواصلت.. أما زلنا على موعدنا الليلة؟

قال دانيال:

_ وهل لي أن أتأخر عن رؤية كل هذا الجمال !

رأى علبة الخاتم أمامه؛ فتذكر وقال:

_ اسمعي! هل تتذكرين كيف أنني قلت لك؛ إذا وجدنا الخاتم المفقود سأخبرك بما يمكن أن تفعلي به؟

قالت سارة:

_ نعم أذكر.. ماذا حدث؟

قال دانيال:

_ لقد وجدت الخاتم مع المحترم إسحق بعدما وقع مني في المشفي..

قالت سارة:

_ أحقاً ما تقول؟

أكمل دانيال قائلاً:

_ هو حق أيتها الجميلة.. والشيء الذي أريدك أن تفعليه به؛ هو أن تتبرعي به للمحترم إسحق؛ لأنه ذكر شيئاً عن عمل مركز لإعادة تأهيل من تعلمين..

قالت سارة:

_ ومن هم هؤلاء الذين أعلمهم ويحتاجون إلى مركزاً للتأهيل؟

قال دانيال ضاحكاً منها.. إلا أن به إحرج من التكلم معها بطريقة مباشرة في هذا الموضوع:

_ حسناً.. هل تتذكرين عندما كنت أمام شقتك وحدث ما حدث؟ فإن المحترم سيقوم بإنشاء مركزاً لإعادة تأهيل هؤلاء..

قالت سارة:

_ نعم نعم.. فهمت.

فأكمل دانيال قائلاً:

_ فإني أريد منك أن تتبرعي بهذا الخاتم للمحترم من أجل المركز.. ما هو رأيك؟

قالت سارة بلا تفكير؛ فقد سُئلت عطاءً في استطاعتها أن تعطيه:

_ نعم بكل تأكيد.. وأرجو أن يتم إنشاء هذا المركز.

قال دانيال مسروراً:

_ هذا ما ظننته فيكِ أيتها الجميلة الطيبة..

قالت سارة:

_ وسوف آتي أنا وصديقتي إلى مكتب المحترم.. هل أنت هناك؟

قال دانيال:

_طيب.. سوف آتي وآخذك !

قالت سارة:

_ لا.. انتظرني أنت عندك !

قال دانيال:

_السمع والطاعة يا مليكتي.. _ثم أخذ يضحكان معاً_

وبعد أن أنهى دانيال محادثته مع سارة؛ أخذ ينظر من النافذة وبادٍ عليه التفكير.. ولكن ما من شيء محدد يفكرفيه. دخل المحترم وإلياس إلى الغرفة.. فقال المحترم لدنيال بعدما رآه ينظر خارجاً من النافذة:

_ النور شيء آخاذٌ وجميل !_ وحرك يده أمامه إشارة على النور_

نظر دانيال إليه مستمعاً؛ فأكمل المحترم قائلاً:

_ والنور هذا _كما قال أحد إخواننا_ هو كاشف الخفاء.. كاشف ماهو خافٍ عنا.. وكاشف الخفاء هذا؛ هو سر الخفاء.. أي النور هو الخفاء نفسه!

استمع دانيال وبدا أنه منبهر بكل ما يقوله المحترم.. فقال دانيال بعد هنيهة:

_ الشيطان خافٍ علينا.. أليس كذلك أيها المحترم؟

قال المحترم مجيباً:

_ نعم هم أخفياء علينا.. _ثم لاحظ أن دانيال منتظر منه إكمالاً؛ فأبحر قائلاً: ولكل واحد من الناس شيطانٌ يُقارنه في كل وقت وكل مكان.. وهؤلاء الشياطين لا دخل لهم إطلاقاً بما يراه الناس ويعيشون فيه ويحيونه.. وعالمهم شبيه بالعالم الذي نراه في منامنا، من أمثال الأحلام أو قريباً منها.. وعلاقة الشياطين بالناس؛ هي علاقة إيحاء ووسوسة.. وتلك الوسوسة بما يجول داخل أنفسنا.

والشيطان له القدرة على أن يسمع ويبصر ما تفكر فيه في نفسك، وفيما يطرأ عليك من تغيرات على جسدك.. كقيام شهوتك مثلاً.. أو الغضب أو الألم على فقد شيء.

وكل إنسان يستطيع أن يسمع ويُبصر ما يفكر فيه الشيطان المُقارن له.. فمثلاً عند قيام شهوتك؛ فهو لا يتركك وشأنك؛ بل إنه يتخيل نفسه في أوضاع ومشاهد معينة ويتفاعل معها؛ مما يتسبب في زيادة شهوتك.. وفي حالة اللواط والشذوذ؛ فإن الشيطان يضع نفسه ويتخيل أوضاع النساء وتصرفاتهن على الفُرش.. وكل ذلك يسمعه ويحسه المُصاب باللواط والشذوذ؛ فيقع مطبوعاً على الجسد؛ فيزداد الارتباط باللواط والشذوذ أكثر وأكثر ويحسب أنه من نفسه وما هو من نفسه.

قاطع إلياس المحترم قائلاً:

_ وكيف تتم محاربة وسوسة الشيطان أيها المحترم ؟

أجاب المحترم قائلاً:

_ تتم محاربة الشيطان عن طريق معرفة أن الذي يوسوس؛ ما هو إلا شيطان رجيم عدو شديد العداوة لك ولكل إنسان.. لا يريد الخير أبداً للبشر.. بل يُريد أن يخرجهم من إنسانيتهم إلى أدنى الدناءة وأسفل سافلين عن طريق ما ينتابهم من مشاعر.. فيأتي يحاول أن يُلخبط عليهم مشاعرهم ويُلبسها لهم. ومن الناس من يستمع ويصغي له؛ بل لربما زادوا على ما يوسوسه الشيطان.. ومن الناس من يستعيذ بالله من هذا الشيطان بعدما عرف أن الشيطان هو الذي يوسوس له بسبب ما طرأ على الجسد من تغيرات كقيام الشهوة والغضب والضيق.

قال دانيال:

_ وكيف نستعيذ بالله أيها المحترم من الشيطان ؟

أجاب المحترم قائلاً:

_ نستعيذ بكلمات علَّمنا الله إيها إذا ما أتى اللعين يوسوس ويهمز وينفخ في أنفسنا؛ فنبدأ نستعيذ بالله بتلك الكلمات؛ فيفرُّ بعيداً جداً؛ فيوشك على الهلاك في كل مرة تستعيذ فيها بالله.. فيوشك على الهلاك وكأنك تضربه بسياط؛ فيخسئ خارصاً حتى يهلك أبداً.

قال إلياس:

_ ولماذا هذا اللعين أيها المحترم موجود معنا ويرافقنا؟

أجاب المحترم قائلاً:

_ اللعين ليس له أي سلطان على أحد.. وما هو إلا أداة ليعلم الله بها مَن من الناس صار يشك في يوم القيامة.

قال دانيال ساخراً:

_ وهل هذه كل مهمة الشيطان في هذه الحياة.. إنه مسكين؟

ضحك المحترم قائلاً:

_ نعم هذه هي كل مهمته.. وما هو إلا أخرق وجاهل؛ تم وغضب واستكبر؛ فلم يستطع عودة لرشده فلا يزال شيطاناً رجيماً.. ويا ليته ينتهي بدافع الانتكاسة والهم والحزن إذا عرف أنه بالفعل كذلك! كلا.. فهذا ليس همه، بل همه وما يعبأ له حقاً؛ أنه عدو كل واحد منا.. يريد كل واحد منا أن يكون في الظلمات والسوء لا يريد خروجاً له منها.

قال إلياس:

_ وهمه أيضاً أن يُصدِّق عليهم ظنه وإيمانه القديم عندما قال لله بأنه سيُضلهم ويضلون، ويأمرهم فيمتثلون مُتبِعين لأمره؛ إلا فريقاً من المؤمنين بالله .

ابتسم المحترم إليه قائلاً:

_ أحسنت يا إلياس.. أحسنت.

سكت المحترم قليلاً.. ثم قال :

_ هل أحدثكم كيف إذا جاء موت إبليس لعنه الله؟

الكل ازداد انتباههم؛ فقالا معاً:

_ نعم أيها المحترم إذا تفضلت!

فأخذ المحترم في الوصف قائلاً:

_ في ذلك الوقت لا يبقى أحدٌ على الأرض حيٌّ إلا إبليس.. ينزل ملك الموت في صورة مهولة مُفزعة، بها من السوء ما ليس لقلب أحد قدرة لتحملها.. فإذا انتهي إلى إبليس؛ زجره زجرة فيُصعق لها، وينخر نخرة عظيمة تَصعق من يسمعها.. فيقول ملك الموت له: قف يا خبيث! لأذيقنك اليوم الموت بعدد من أغويت.. كم من عمر أدركته؟ وكم من قرون أضللتهم؟ وكم من قرناء لك في سوء الجحيم يقارنونك؟ قد جاء أجلك وميقتك الذي نظرك الله إليه.. إلى أين تهرب أيها المعتوه؟!

فيحاول أن يهرب من هنا إلى هناك.. ومن هناك إلى هنا في أرجاء الأرض.. ولا أدري إلى أين يهرب هذا المفزوع الذي لا ينفعه شيء إطلاقاً! فليس هناك مكان فيذهب إليه.. فقط هناك عذاب أليم لا مفر منه!!

يغوص في البحار؛ فإذا هو بملك الموت هناك.. لا يزال يهرب في الأرض ولكن لا محيص ولا ملجأ.. ثم يقف عند قبر آدم فيقول: يا ليتك لم تخلق! بسببك صار الأمر إلى ما صار!

فيقول إبليس لملك الموت: بأي كأس تُسقيني الموت؟! فيجيبه ملك الموت بأنه قابض روحه المنتنة ونازعها ومعذبه بعذاب أهل الجحيم أضعافاً مُضاعفة.. فيتمرغ إبليس في التراب مرة ويهرب مرة.. وتصير الأرض مثل الجمرة.. وتحتويه ملائكة النار والعذاب قِباح المناظر والهيئة وقد امتلئوا غيظاً؛ فيطعنونه بالسلاسل والكلاليب والخطاطيف.. وفي نزع لروحه النتنة وعذاب لا يستطيع كفاً له يبقى فيه ما شاء الله أن يبقى.. وشاء الله أن لا يخرج من هذا العذاب أبداً!

ومهما يكن مقدار ما سيذوقه وأمثاله من عذاب النار؛ فالحمد لله ربِّ العالمين.. ومهما كَـثُر من قُطع دابرهم وأُهلكوا من الأقوام الماضية والباقية؛ فالحمد لله ربِّ العالمين.. ومهما أُلقي في الجحيم والنار أُناس قد ظلموا وعَتَوا ممن غرتهم رحمة الله وكرمه فاجترءوا على ما اجترءوا عليه من فعل أو قول ثم لم يجدوا إلا النار لهم مصيراً ونهاية؛ فالحمد لله ربِّ العالمين.. الحمد لله الغفور الرحيم الذس سيطمع في رحمته يوم القيامة من وسعها؛ إبليس! فيطمع في أن يدخل فيها.. لكن أنَّي له ذلك ولأمثاله؟ فهم قد عاشوا كفاية ليتذكروا ويصحوا من نومهم فيستغفروا ربهم ويتوبوا إليه؛ ولكنهم لم يفعلوا.

وعلى صمت كل أحد؛ ظهرت سارة وصاحبتها.. رءآهما المحترم فرحب بهما واقفاً وقال:

_ أهلاً آنسة سارة ومن معها.. دانيال هنا.. _ وأشار إليه _ تفضلا!

مشى دانيال نحوها.. فأخذت ترحب بهم جميعاً.. وعرَّفتهم بصديقتها قائلة:

_ أهلاً أيها المحترم.. أهلاً سيد إلياس.. هذه صديقتي مريم.

رحب كل منهما بهما على استحياء.. فقال إلياس والمحترم:

_ أهلاً ومرحباً بالآنسة مريم.. وتهانينا يا آنسة سارة على الخطوبة.

أعطى دانيال لسارة علبة الخاتم؛ فأخذت تراها.. وقال دانيال للمحترم الذي ألقى بنظره على سطح المكتب من الحياء:

_ لقد أخبرت سارة بقدومك على إنشاء مركزاً لإعادة التأهيل.. الروضة التي ذكرتها لي من قبل.

قال المحترم بتبسم ونظره أمامه؛ لانه لا يُريد أن يقع نظره على أيٍّ من الآنستين:

_ نعم نعم! نحن على وشك أن نقوم بذلك.. ونأمل العون من الله وتيسره لكل أمر!

قال دانيال:

_ من أجل هذا الإنشاء جاءت سارة لتُعطيك شيئاً..

نظر دانيال إلى سارة؛ فخلعت الخاتم الذي في إصبعها بعدما رأت أنه أقيم وأطيب أن يُعطى.. كل ذلك على مراقبة من دانيال بما تفعل؛ فظهرت عليه ملامح اختلاط فرحة بما فعلته ومشاعر الحب نحوها، ومازال ناظراً إليها.. فأعطت الخاتم للمحترم.. ثم لمحت نظر دانيال لها؛ فرمقته ثم أغضت طرفها؛ فتبسم دانيال لها. ثم أخذت سارة من صاحبتها مريم عقداً ألماساً هو الآخر كان على عنقها بعدما أرادت صاحبتها أن تعطي شيئاً هي الأخرى؛ فأعطته للمحترم وقالت:

_ هذا من مريم.. ونأمل في أن يُساعدكم في شيء !

أشرق وجهه المحترم لما حدث.. ثم قال:

_ شكراً لكما.. لكما جزيل الخير والشكر لعطاءكما هذا ومبادرتكما تلك!

بادٍ على وجه المحترم السرور وقد رأى ما في يده.. فقال يجول بعينه في الغرفة على استحياءٍ من تكليمهما وهو ينظر مباشرة إليهما:

_ هذا شيء أفرحني جداً.. فرؤيتي لكم جميعاً؛ تذكرني بالصالحين إن لم تكونوا أنتم الصالحين أو على أعتاب مرتبة الصالحين.. لكم إقدام على الخير دون خشية لما أقدمتم عليه أو مبالاة له.. وكأنه شيء فيكم مطبوعون عليه. وجِدت مواقف فيها أناس يحتاجون للمساعدة؛ فأمثالكم هم من يعطون وينفقون حالما يرون ذلك الإحتياج ويرون له سبيلاً.. تعطون دون أن تكون للمقارنة مكاناً عندكم؛ فأنتم لا تنتظرون شيئاً مقابلاً.. بل أنتم تبتعدون كل البعد عن التفكير من أن تكونوا فعلتم هذا في انتظارٍ لشيء مقابل.. فقط أنتم تعطون لأنكم هكذا أنتم1.

وأمثالكم الذين يُعطيهم الله بغير حساب.. فقط عطاء من الله منهمر عليهم هكذا.. يتصرفون فيه كيف شاءوا بغير حساب بعد ذلك من الله تعالى كيف صرفوه أو فعلوا به..

وفي الأخرة! لا وصف لما أعده الله لـمن هم أمثالكم من الرضا وتمام النعيم وما تذهل له العقول من الجمال والسلام.. وفوق كل ذلك؛ هو قُربهم من الله تعالى في الجنة ورؤيتهم له سبحانه حيث تمام الرضا والنعيم.. فلا شيء أحب إليهم من النظر إلى وجه الله تعالى الكريم.

1_ توجد أفعال من عظامتها وجودها وكرمها، وعلوها وتعاليها، وطيبتها والرحمة فيها؛ تريد أن تعرف لأي سببٍ فُعلت؛ لم تجد إلا سبباً واحداً.. هو وجه الله.

وضع المحترم ما في يده في مكتبه.. وكلٌ في طريقه.. المحترم وإلياس ذاهبان للمشفي عند آدم.. وسوف يلحق بهما دانيال بعد حين.

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني عشر

وصلوا إلى المشفي جميعاً وصعدوا نحو آدم؛ فوجدوا الطبيب يحيى خارجاً من غرفة آدم يمسح عيناه؛ ففزعوا جميعاً! فأخذوا يسرعون ناحية الطبيب يحيى.. وصار منهم من هرع إليه.. ومنهم من أخذ يبلع ريقه.. وكلٌ ثَبُت نظره لا يطرفون خشية أن يكون حدث خطب ما.. فهم لا يدرون أي شيئاً ولا ماذا هنالك!

سألوا الطبيب يحيى:

_ ماذا هناك؟

فأجاب يحيى قائلاً:

_ حالته مزرية محزنة أليمة.. تأتيه حالة بكاء؛ فنبكي لها!

أخذهم الطبيب ومشوا نحو الغرفة.. وجدوه كما هو بل أسوء.. وجهه إلى الناحية الأخرى من الغرفة.. دخل عليه المحترم فرءاه عيناه أحدها شبه مغلقة والأخرى مفتوحة إلى النصف بسبب ما على جفونه من أشياء متكتلة.. كل ذلك وآدم آخذ في البكاء.. أحسَّ بالمحترم فأدار بصره ناحيته.. رأى المحترم وجهه فقال مشفقاً:

_ كيف أحوالك يا آدم؟

قال آدم باكياً:

_ لقد استحققت ما أنا فيه من المرض والعذاب.. قد وقع القول علي بالعذاب على ظلمي وبغي.

أخذ نفسه وهو يبكي بصعوبة وتقطع؛ فيا لها من معاناة! ثم أكمل قائلاً:

_ ثم ما هو منتظرُني في الأخرة من الجفاء والهجر وعذاب الجحيم!

عرفت وتقربت إلى ربي في معانتي تلك..وعرفت رحمته من تخفيفه العذاب عليَّ وكل الأسباب لا تجد فيها سبباً للرحمة أو التخفيف.. وكل هذا الألم والمرض لا يهم عندي؛ بل همي هو في الاخرة!

لـمَّا علمت أن الله سينساني يوم القيامة بسبب أنني قد افتريت الدناءة وجرحت الحياء والعظمة، وأنني قد وقعت في حرمات الله وحماه وهو الملك الكبير.. وكل ذلك وهو شاهد وصابر عليَّ.. مطلع على ما في نفسي ويعلمه كأنه العلن.. وهو الثاني لي عندما أكون وحيداً.. والثالث لنا إذا كنا اثنين.. ورابعنا إذا كنا ثلاثة.. هو معي أينما كنت كيفما كنت.. أنجاني من كل كرب مررت به حتى وأنا في ظلمي وهتكي الحياء وعدم مراعاتي العظمة؛ ثم إنني لم أرجو لله تعالى أي وقار رغم كل ذلك.

أخذ يبكي بكاءً مريراً.. ثم أكمل آدم قائلاً:

_ كل الأشياء تهون.. ولكن أن ينساني الله في حياتي الآخرة يوم القيامة حيث القرار؛ فذاك هو العذاب الأليم!

قالها متألماً حقاً؛ فامتلئت عيني المحترم بالدموع واغرورقت.. ثم اكمل آدم آدم:

_ يا أرحم الراحمين لا تنساني! كل شيء يهون إلا أن تنساني فهذا الذي لا يُطاق.. أعوذ بوجهك أن تنساني! _سالت عيني المحترم بالدموع_ لقد عرفت أن الحب كل الحب لك يا

من وجودنا فقط بك.. عرفت أن الحب كل الحب لك؛ لكني لا أجرء على أن أتفوه بذلك حياءً منك من الأفعال التي كنت أفعلها.. _أدار وجهه على بكاءه إلى الناحية الأخرى_ أعوذ بك مما صنعت!

أخذ المحترم بركن، ونظر من النافذة ناحية الحديقة.. ثم خرَّ حتى وصل بذقنه على صدره.. وقال داعياً وناظراً إلى السماء وقد أسرَّ دعائه في نفسه:

_ "يا بديع السموات والأرض ومن فيهما بالحق ولا حاجة لك بخلقهما!

أنشئت كل شيء وأحييت كل حي.. أنشئت كل ذلك ولا أدري كيف تم التوصل إلى كل ذلك؛ فليس أحد بسابقك حتى تأخذ منه.. كل خلق وفعل يعود إليك سبحانك!

أكاد أذوب ولا أتحمل يا عظيم! كيف توصلت إلى أن كل شيء خلقته سيخرج إلى ما هو عليه بصورته وأفعاله؟

يا عليم! كيف توصلت إلى أنني سوف أكون؟ وكيف توصلت وأخرجت الحروف أ ل ص س ي.. كيف عرفت كل ذلك؟ كل ما أعلمه أنك أنت العليم تعرف كل شيء.

خلقت كل من وجد.. وخلقت من هو موجود.. وستخلق ما لا يُعلم ولا يُنتظر؛ ولكنك ستجعله وستكونه فإذا هو كائن؛ فأنت العليم الحكيم.. جعلت وجاعل وستجعل في هذه الحياة من قد اخترته تنظر كيف يصنع.. أحسنٌ أم سيءٌ سوف يعمل؟

سيستحق فريق من الناس أن يكونوا في العذاب الأليم خالدين فيه بسبب ظلمهم.. وسيشهدون على أنفسهم أنهم كانوا ظالمين؛ فيا ويلهم!

وفريق أخير سيدخلون الجنة برحمتك فقط.. رحمتك التي أمسكتها عندك جميعاً؛ إلا جزءاً مأنزلته على تلك الأرض يترحم به من هم عليها.. يتراحمون بهذا الجزء منذ الخلق الأول إلى آخر الدنيا بهذا الجزء فقط.. ثم أمسكت باقي الرحمة ليوم القيامة؛ ويا لوسعها!

سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب!

أصاب عبدك هذا _وأشار بقلبه إلى آدم_ ما أصاب من الذنوب والظلم والإفتراء.. فلم ينال إلا ما كان يفعل.. أيقن أنه قد أخطأ؛ فندم على أفعاله وطلب أن تقبل توبته فأنت التواب الرحيم.. مازال شر ما صنعه محيط؛ إلا أنك عفو غفور.. أخطأ وأنت شاهد عليه تراه وتسمعه.. فلمَّا أيقن بشهودك ورؤيتك؛ أصابه من الهم والحزن والضيق ما تعلمه وأنت رحيم!

استجب واعف عنه واجعله آية منك لمن خلفه.. اجعله آية بأن العذاب الأليم موجود وهناك عذاب أشد منه قادم.

أنت يا رحيم لا يتعاظم عليك ذنب في أن تغفره؛ فارحمه برحمة منك إليه وإلى غيره تكن آية فيحذروا وينتهوا ويتوبوا عما يفعلون إن كانوا ممن يسمعون سبحانك !"

وقد دع المحترم بذلك مناجياً ربه ويتخوفه ويحذر عِقابه.

* * *

الفصل الثالث عشر

جاء دانيال إلى منزل المحترم إسحق؛ فلقي إلياس هناك.. ثم رأى المحترم مستلقٍ على سجادة على جانبه الأيمن، وواضعاً كفه تحت رأسه ومن أمامه التوراة على حامل وبادٍ عليه الشدة والكرب.. دانيال لم يكلمه حتى يعرف أن به شدة وكرب؛ ولكن حالة المحترم محيطة بالمكان.

قلب المحترم لم يعد يتحمله جسده.. وظاهر أن الأمور قد ثُقلت عليه.. أو بالأصح؛ لم يعد قلبه قادراً على مزيد من التحمل والبقاء في هذه الحياة؛ فهو مشتاق إلى جوار ربه ولا مزيد من التحمل عنده.

أدرك المحترم وجود دانيال.. ولكنه مستلقٍ ويستحوذ بذراعه على قلبه لعله يمنع قلبه من محاولة الخروج من صدره.. نظر إليه دانيال ثم أتاه قائلاً والحزن على وجهه:

_ كيف حالك أيها المحترم؟

فاعتدل قاعداً ومازالت يده يضغط بها على صدره.. ثم قال مبتسماً ومادا يده مُرّحِباً:

_ الحمد لله.. كيف حالك أنت؟ _ثم أخذ يسعل بعض السعال _

فقال دانيال:

_ أومازال قلبك تأتيه تلك الألآم؟

تجنب دانيال وأخذ ينظر إلى التوراة يقرأ منها.. وأخذ المحترم يعتدل في جلسته ومحاولاً التجميع.. وبعد هُنيهة قام وأتى بأوراقٍ ومسندٍ وجلس مكانه وكأنه سيُعد شيئاً.. لاحظه دانيال؛ فتجنب قليلاً؛ إلا أنه آخذ في القراءة مشغولاً بها. أما المحترم؛ فقد قال بأن عليه أن يتم ويُنهي وضع بيانه الذي عليه تسير الروضة التي سعى في بناءها من أجل اللواطين والشواذ.. بدأ المحترم في تجميع كتاباته وإلياس وراءه جالس على كرسي.. ودانيال يقرأ وجالس على أصابع قدميه سانداً يده تحته على الأرض ونظره في التوراة.. قال المحترم:

_ استمعا إلى ما سأقوله !

فانتبه دانيال وإلياس ونظرا إليه.. إلا أن دانيال نهض من جلسته هذه ليرتاح في واحدة أخرى.. فجلس قريباً من المحترم.. والذي ابتدأ قائلاً:

_ هذا ما كتبته! وهو بيانٌ يسير عليه أحبابنا إخواتنا ممن يُعانون من الشذوذ واللواط.. وقد كتبت ذلك؛ لكي يعرف كل واحد من هؤلاء الأحباب عن أمر لواطه وشذوذه.. فينتبه ويعي، فينتهي ندماً وحسرة على ما هو فيه.. ثم حذراً من عاقبته.. ثم تأتيه عزة وأنفة ونزاهة مع ضيقٍ وندمٍ وعدم تحمل على ما كان منه.. ثم خروجاً من سيطرة هذا الأمر عليه.. ثم ابتعاداً عنه بعيداً جداً.. ثم توبة حقاً وندماً.. ثم توبة من الله عليه يشعر ويحس بها، وتبديل الله سيئاته حسنات عفواً منه ورحمة ومغفرة.. ثم رؤيته نفسه وكيف أنه من الرجال الأشداء حقاً.. فيتمتع متعاً جميلاً حسناً بالنساء الجميلات.. متاعاً يطلبوه ويسعى له سعياً إلى حين المتاع الأكبر يوم القيامة.

أول شيء كتبته؛ هو مقدمة لتعريف اللواط والشذوذ:

تعريف اللواط أو الشذوذ أو الانحراف الجنسي

تذكيرٌ تكاد تعدم أحداثه، بل هو بعث للشعور وليس تذكير؛ فالتذكير لا يضر إذ لم يكن هناك شعور.

شعور بألمٍ وهيجانٍ ليس بالمتوقف في موضع الدبر[1] _ هكذا يبدو أنه ليس متوقف أو أنه ذاهب_، مشوبٌ هذا الشعور بإيحاءٍ من الشيطان اللعين بالوهن والضعف والإستصغار، وشعور بتكبيلٍ للقوى، وإيحاءٍ من الشيطان اللعين بتفوهات وأفعال النساء إذا ما أخذ أزواجهن يستمتعوا بهنَّ فوق الفُرش، وإلباس المخيلة بوضع الأحباب في موضعٍ غير موضع الرجال، وإيقاظ لآثار الوطئة القديمة التي حدثت للأحباب.

وكل ذلك في تركيبة من تركيبات المشاعر والأحاسيس، كأنها لا تُقاوم، كأنها طبيعة من طبائع الإنسان، فيتم خروج اللواط والشذوذ، وهذه التركيبة اللعينة تَنصبُ وتَحُل في ثوان، بعدها تماماً؛ يأتي النفس مايأتيها من حاجة تقضى بعدما جال في النفس تصورات وأفكار الشذوذ والانحراف. وما كان لكل تلكم الدناءة والإيحاءات والأفكار والتصورات وإلقاءٍ بتفوهات النساء وأفعالهن ولبسٍ في المخيلة أن يتم عند الأحباب؛ إلا عن كره واغتياظ لهم شديد من الشيطان اللعين.

وقد يأتي النفس لوم على ما هي فيه أو ما تشعر به؛ إلا أنه يترآءى حتى التيقن أنه لا سبيل للخروج، ولا حيلة للإفلات ولا استطاعة.. فيا له من شعور! ومع ذلك لربما وجد لوم باقي؛ ولكن هيهات أن ينجلي ما يجول في النفس من رغبة في اللواط.

---

1. ومن الممكن إزالة شعور الهيجان والألم عن طريق العلاج بأدوية.

يوشك أن يعم هذا الإذعان والتسليم؛ إلا في حالات قد يوجد من تتألم نفسه أنه هكذا، وعنده اللوم حتى على أعتاب الإذعان والتسليم، ولكن لا سبيل ولا حيلة، فأولئك عسى ما نكتبه يُذكرهم أنفسهم حقاً، ويُبيّن لهم حقيقة ذاك الشذوذ الذي لا يستطيعون منه خروجاً، وأولئك هم الأحباب.. وسيستيقنوا _ إن شآء الله_ أن لومهم الذي يلومون والذي تطويه إلا عن قليل تلك التركيبة اللعينة، تركيبة اللواط والشذوذ، يفرض سيطرته مُزيحاً عنهم تلك الغشاوة والتركيبة .

وليعلموا وليتبينوا حقيقة الأمر الذي يكادوا أن يكونوا فيه؛ مثل الذي يكادوا أن يكونوا فيه1 !

إلا أن الأحباب وحدهم هم من يتراءى لهم حبهم للواط والشذوذ.. فالناس من حولهم على فطرتهم وطبيعتهم، وقد يُظن أن التراءي من عندهم وحدهم، فهذا ما يبدو عليه ألامر؛ إلا أنه ليس كذلك! وسوف يعلمون _ إن شاء الله_ أن الشيطان اللعين يشاركهم في تكوين ما يتراءى لهم وما يحسون به وينفعلون له ويسعون لفعله حيث الإرضاء هناك.

وإذا صدَّق الأحباب ما نقوله ونُبينه لهم؛ فهذا سيعطيهم أملاً فيقيناً في أنهم ليسوا كما يتراءى لهم على مخيلتهم من أنهم شواذ بالفطرة.. ولكن كل ما يحدث لهم؛ هو ظهور تركيبة اللواط تلك فلا يستطيعون إفلاتاً منها، وأينما يتوجهوا بفكرهم لا فُراق لما يجدوا، وإذا حاولوا توجيهاً لمخيلتهم غير الذي يترآءى لهم؛ فشلوا وصبّت محاولاتهم جميعها في تركيبة اللواط تلك! وهذا دليل على أن الشيطان اللعين هو الذي يوسوس حتى يكاد يُسيطر على المخيلة.

---

١. وذلك من هوله! فالإنغماز لو يُطلع عليه؛ لقشعرَّنَ منه الجسد، ولتقلبت الأمعاء وأُخذ يُعض على الأضراس تشتيتاً لشدة التقلب والإقشعرار .

ولذلك سعينا إلى كتابة هذا البيان ليتم العلم والتيقن من عظم ذلك الأمر الملبوس على من أُلبس عليه، وأنه ملبوس لكراهية وعداوة مُبِينتين من الشيطان اللعين، وأنه مايجب أن يكون أمر اللواط.. واجب يُجِيبوه الأحباب على أنفسهم ويفرضوه عليها من أعماقهم بعد اقتناعهم وتيقنهم مما نحاول أن نُبينه هنا .

فإلى الأحباب كم أن هذا الأمر عظيم! فاتبعونى إلى سبيل الخروج الذي لا يحتاج إلا إلى تصدقي؛ فالأمر ليس إلا تزيين يُفضح أمره ويُبان لكم... فالتصدقوني!

وأن أمركم أيها الأحباب ليس كما تعتقدون؛ فالأمر ليس إلا إلباس وتزين وتركيبة لعينة، وأن الأمر ليس إلا مشاركة وإيحاء بينكم وبين الشيطان اللعين، وليس مستقيماً وواضحاً لديكم بأنه مشاركة وإيحاء بينكم وبين الشيطان اللعين، وكل ذلك يتضح بتفصيل وتفنيد كل أمر طرأ ويطرأ، وبرد الأمر إلى أطرافه المكونة، أو برد التركيبة إلى أطرافها المكونة والقبض عليها وسحقها سحقاً.

كيف خرج اللواط والشذوذ إلى الوجود؟

الحالات التي تسببت في خروج اللوط

شهوة ورغبة للواط ليست بالغريبة عند الأحباب؛ إلا عن لومٍ يكاد أن يُعدم في البعض، لكن الغريب ألا يُسعى ويُطلب ذلك الذي يجدون ويحسون.. لأنها تركيبة من تركيبات الشعور والإحساس.

الحالة الأولى:

- ولدٌ ضعيف لا حيلة يستطيعها.. تم وكان معه رجل أكبر منه.. وهذا الرجل له شهوة ولا مانع عنده من الاعتداء على الصغير، الولد لا يدرى.. معه رجل كبير، وكالعادة؛ إعجاب من الصغير للكبير، فضول وطيبة وتسليم من هذا الولد، ثم لا دراية ما يفعل... قضيت الشهوة وتم الاعتداء عليه!!

وبعد حين؛ الولد مرة أخرى مع الرجل الكبير.. وهذا الرجل الكبير ليس عنده رادع دينى أو أخلاقي. نشئ الولد الصغير وبدأ الشيطان يُحيّ لديه ويبعث عليه تلك الأحاسيس والمشاعر ويُذكره.. الولد لا يستطيع إفلاتاً من وسوسة الشيطان اللعين؛ لأن الذي يراه هو مجرد مخيلة _ حتى إن كلمة مخيلة كبيرة عليه _ وذاكرة تعرض عليه.. الولد لا حيلة ولا علم عنده كيف يخرج من هذا التفكير.. ثم تسليم للشيطان وللأفكار التي تتوارد على فكره، ولربما ساعده على التسليم؛ مجتمع لا روادع أو زواجر فيه.

الحالة الثانية:

- صَبيِّان منفردين لا أحد معهم.. وهذان الصبيان سمعا ما سمعا ورأيَّا ما رأيَّا من إباحيات ومشاهد خليعة، يبدءان في التكلم عمَّا سمعا ورأيا.. الشيطان اللعين يوسوس لهما أن افعلا كذا ومدَّا أيديكما على أجساد بعضكما! فتم ما تم من اعتداء كل منهما عل الآخر.. ومن تكرار الممارسة؛ فلا تعاليم للصبيِّان ولا إفهام لهما ولا مراقبة.. الشيطان يبدأ يُحيّ ويبعث عليهما تلك الأحاسيس والمشاعر ويذكرهما حتى يعتادان على اللواط ويألفانه.

الحالة الثالثة:

- مراهق في بيئة من الإباحية تكاد أن تعم جميع الأرض.. الشيطان يأتي ويُذكر هذا المراهق بما رأى وسمع من إباحيات ومشاهد خليعة.. الخلو متوفر والإباحية متوفرة أيضاً، ولا رادع أو زاجر عند هذا المراهق ليحول بينه وبين الإباحية.. ثم إسراف في المشاهدة.. ثم ملل من تلك الإباحية وشبه عجز جنسي يصيب المراهق نتيجة الإسراف.. الفتى المراهق يتذكر استمتاعه بشهوة ولا يعرف كيف يُرجعها نتيجة الإسراف.. يزداد تلعق المراهق بالإباحية بحثاً عن شهوته الضائعة.. ثم يأتي الشيطان ويُلبس عليه العجز الجنسي بالملل بالشهوة الضائعة.. ثم يفتح باباً آخر ليُجربه الفتى المراهق.. وهذا الباب؛ هو اللواط والشذوذ. وما إن يُجرب الفتى المراهق هذا اللواط؛ إلا ويكبله الشيطان بسلاسل لن يستطيع الإفلات منها.. ثم تتوغل رجل الفتى أكثر في اللواط والشذوذ.

الحالة الرابعة:

- الوحدة أو العيش وحيداً.. والمعروف أن الوحدة تجلب على النفس الإنسانية مشاعر غريبة ليست معتادة. والمعروف أيضاً أن الوحدة تتسبب في خروج بعض الصفات والأفعال السيئة.. غير أن الوحدة في هذا الزمان الذي انتشرت فيه الإباحية انتشار الهواء؛ ينتج عنها ضرر وخراب أشد فتكاً وأكثر لعنة مما كانت تتسببه الوحدة قديماً.

وهكذا هي الوحدة! مشاعر غريبة تطرأ على النفس بسببها.. وتُصاحب تلك المشاعر الغريبة تغيرات على الجسد.. ومع تلك التغيرات تماماً؛ يبدأ الشيطان اللعين يُذكر الإنسان بالإباحية والمشاهد الخليعة.. وتبدأ التصورات تجول في الصدور بفعل كذا

والإقدام عليه.. وبإلقاء السمع لوسوسة الشيطان؛ تشتد التغيرات على الجسد.. فتُثار النفس أكثر وتصبح لها قابلية فعل كل ما يخطر على البال.. لأن الجسد الذى اشتدت عليه التغيرات قد بات يؤيد ويرغب في كل تصور وإيحاء يأتي من قِبل الشيطان.. بات يؤيد ويرغب حتى لم يعد هناك إلا السوء والسعي لفعله.. فلا زواجر أو روادع تُعين ولو قليلًا في كف الشيطان اللعين وكف وسوسته.. ثم لا وجود أصلاً لعلم يُثبّت الأقدام بأن كل مايجول في النفس من سيئات؛ ماهو إلا من إيحاء شيطان رجيم غاوي مضل.. شيطان قد رأى ما ينتاب النفس بسبب الوحدة؛ فأخذ في نصب شِركه ليَخرج بالإنسان من إنسانيته إلى أرذل الدناءة وأسفل سافلين[1].

وكل ما أدى إلى خروج حالات الإنحراف ما كان له أن يحدث لولا غيب وجهل وضلل في المجتمع عنه ضلال وجهل وقلة علم فتغيب لدى ولي الأمر.

ما هو دخل الشيطان في كون اللواط والشذوذ؟

وأما عن الشيطان اللعين _لعنه الله_؛ فكل شغله هو العمل على ظهور ذلك الهيجان والألم؛ ثم تتوالى الأمور.

شيطانٌ رجيم يُذكر.. فتنبعث مشاعر وأحاسيس اللواط.. ثم لا قدرة على الإفلات ولا حيلة ما إن تَحل تلك التركيبة اللعينة.. والشيطان مازال يوسوس ويوحي من أجل أن تبقى تلك

---

١. لذلك قد حذرنا الله من الوحدة! والوحدة تكون في السفر أو في النوم وحيداً، وتزول الوحدة بوجود ثلاثة؛ فباثنين مازالت الوحدة قائمة، وتستحوذ الشياطين على من في الوحدة حتى تصير نفسه شيطانية إن كان وحيداً، وإن كانا اثنين؛ فما هما إلا شيطانين لشدة استحوذ الشياطين عليهما حتى يصيرا مثلهم.

التركيبة وتزداد.. لا علم بأنه هو.. كل ما يبدو للأحباب _ممن يعانون انحرافاً_ أنهم ليسوا إلا كما يرون أنفسهم في تفكيرهم بأنهم لواطين.. ولكن لا هم كذلك ولا شيء يكن.. فما هم إلا إخوة رجال لا ينفكوا عن خلع الجبال إذ أرادوا.. ولكن دعوا عنكم ما تجدون في أنفسكم من تلك التركيبة اللعينة! فما هي الا من جلب الشيطان وإلباسه_لعنه الله_، ولتصدقوا.. فإن الأمر عظيم.

وإذا كان من الأحباب من لا يؤمن بالشيطان؛ ألا يكفيهم كفاية ما هم عليه وما هم فيه.. وأنهم كلما أرادوا الخروج مما هم فيه وأعدوا له1؛ منعهم شيء في أنفسهم يستزلهم، يجعلهم يفعلون

الزلل بتذكيرهم بذاك الهيجان في موضع الدبر والعورة.. وتذكيرهم بما فعلوه من ذنوب وبما اكتسبوا من سيئات.. وبإلباس الشيطان لمشاعرهم مع ما يوحي ومع ما يُطرأه هو على نفسه فيقع مطبوع على أجسدهم المصابة.. وبإلقاء شعور بالوهن والضعف وتصرفات النساء وأفعالهن؛ فيجد الأحباب في أنفسهم تربة لهذا الإلباس نتيجة لما حدث لهم وما اكتسبوا.
وكل ذلك يحسبه الأحباب أنه مـن أنفسهم.. إلا أن الأحباب في الأصل لا مكان ولا علم عندهم حتى يحسبون أو لا يحسبون أنه من أنفسهم أو من غيرهم.. لأن كل ما لديهم أن الوسوسة ما هي إلا تفكير ومحادثة في النفس وذاكرة.. وحينما لا يرون سوى أنه تفكير وذاكرة، وأجساد هكذا لا تعرف شعوراً ولا رؤية غير ما ينبعث منها؛ فعنذئذ ما لهم إلا

---

١. دعَّ عنك ذهاب لومك واعتيادك على الأمر حتى أصبح طبيعياً لديكم، إلا أنه ليس طبيعياً_ وأنتم تعلمون_، وكل ما حدث فقط هو أن تُعود العادة تصبح كأصل، وارجع قليلاً وتذكر لومك الذي كنت تلوم، فإن كنت لا تحس بشعور اللوم وذهب عنك؛ فتذكر أنه كانت توجد حالة لوم قبل ذهابها عنك.

التسليم للشيطان ووسوسته.. ويبدؤن في المشاركة والإيحاء زيادة من عندهم على ما يوسوس به الشيطان؛ فتتوغل أقدامهم أكثر في اللواط والشذوذ.

فاما الذي لا علم به؛ أن كل ما كان قبل التسيلم للشيطان ووسوسته؛ ما هو إلا عمل الشيطان الرجيم! صدقوني أو لا تصدقوني.. فما ذاك إلا كيد الشيطان اللعين لعنه الله.

ما هو الشعور الذي يشعر به من يُعاني من انحراف وشذوذ؟

لا يهم كثيراً كيف وصل أيٌّ من أحبابنا إلى ما هو عليه.. فسواء أوقع عليه ظلم ولم يكن له سبيل أو حيلة يستطيعها ليتجنب الظلم الواقع عليه.. أو كان تمادٍ منه لنفسه على جهالة.. ولكن المهم هو أنه تم لأحبابنا أن جُرحت أنفسهم في موضع ومكان الدبر والعورة؛ فتكالبت عليهم الأمور والتبست التباساً لعيناً.. والتبس عندهم الآتي:

شعورٌ بألمٍ وهيجان بسبب الجرح الذي في موضع الدبر.. مع إحساسهم بحاجتهم في القرب، وشعور القرب أصلاً من فطرة الإنسان.. ومع أثر الاعتداء والوطئة التي حدثت للأحباب في موضع الدبر؛ يبتدأ عمل الشيطان _لعنه الله_ بإيحاءه ووسوسته بالحاجة في التخلص من هذا الألم والهيجان.. ومع تذكيره بحاجة الإنسان في القرب والوصل.. وإيقاظه أثر الوطئة، ثم إيحاءه وإلباسه لكل ذلك جميعاً.

هكذا تكون وسوسة الشيطان إذا أتى يوسوس لفعل فاحشة اللواط

"هيجان وحاجة في التخلص منه في موضع الدبر.. وهناك إحساس بالقرب وحاجة إليه.. وهناك وطئة! إذاً يبدو أن التخلص من ذاك الألم هو في القرب وإيجاد أحد الرجال لكي يمتطى!"

نفرة في النفس لهذا التفكير اللعين.. لكن الألم والهيجان باقي.. لا معرفة عند الأحباب أنه ما هو إلا جرح يلتأم عما قليلٍ جداً.. ولا معرفة عند الأحباب أيضاً أن كل ما يجول في أنفسهم الآن؛ ما هو إلا من شيطان لعين يوسوس ويوقظ ما حدث لهم ويُزينه؛ فينفخ وينفث ويهمز بوسوسته وإيحاءه؛ فتسمعه النفس وتتفاعل معه لما تعرفه من قبل مما حدث معها.. ثم قابليتها للتعمق في التفكير؛ فتبدأ تزيد من عندها على ما يوسوس به اللعين من التصورات والأفكار؛ فتُثار النفس وتتحمس أكثر وأكثر لـ للواط والشذوذ.

ويوحى اللعين إلى أي أحد منا ما يوحيه.. فيسمعه كل أحد منا.. فيزيد عليه من عنده المزيد من التصورات والأفكار.. فُيثار ويتحمس.. فيرى الشيطان ويحس بتحمسه وثورته؛ فيتحمس الشيطان ويُثار هو الآخر؛ فيوحي مرة أخرى.. وهكذا! في وحيٍ متبادل يوحيه بعضهم إلى بعض ينتهي بوقوع الزلل من المعاصي والفواحش.. أو الخذلان بعدما هاجت النفس وثارت ولكن لم يتم ويحدث أيّـاً مما جال في الصدر.

وكل ما يوسوس به الشيطان اللعين ما هو إلا السوء والفاحشة والذميم والكذب.. والواجب أن يُقطع التفكير ويُنسف إذا ما أُحس به ولا تُترك النفس هكذا تذهب مع الريح أينما ذهبت! وهذا هو كل ما يستطيعه الشيطان! فقط إيحاء وتذكير.. ثم تزيين ما أُثير في النفس من فعل للفاحشة.

والذي يتخذ ويتولي الشيطان؛ مَن هو في غفلةٍ ساعٍ في قضاء شهواته وقد تمادى حقاً وأسرف صدقاً.. وأكره نفسه مرة لتفعل السوء دون رغبة منها.. ثم أكرهها مرتين.. وأتم إكرهها ثلاثاً حتى وُضعت على سبيلٍ مظلم؛ فاعتادته.. ثم تشعبت من ذلك السبيل المظلم سبلاً أشد

إظلاماً منه.. وهكذا هي نفس الإنسان ما إن تُتبعها سبيلاً إلا واتبعته وتولته.. وكلها في النار إلا سبيل الله صراطه المستقيم.

وكل ما ذُكر؛ كافٍ لأحبابنا ممن يُعانون انحرافاً لكي يعوا ويفهموا كيف أنهم ليسوا في شيء مما قالوه وأصلوه عن أنفسهم من أنهم لواطين وشواذ بالفطرة.. وليستبين الأحباب ويعلموا كيف هو سلطان الشيطان عليهم؛ غير أنه ما من سلطان له عليهم إلا إذا جعلوا له سلطاناً عليهم.. وحينها يكونوا ظالمين حقاً؛ فإن الشيطان عدو لكل إنسان وجد وسيوجد.. فماذا ينتظر منه؟

وهذا كل ما في الأمر جميعه يفصل تفصيلاً ويُقرُّ فيما يلي.

ماهي المداخل التي يدخل بها الشيطان على الأحباب؟

شعور الإعجاب من المداخل الكبرى التي يتخذها الشيطان اللعين للإيقاع في فاحشة اللواط

أحد أحبابنا يرى أحد الأشياء؛ فيُعجب بها.. ولكن هذا الإعجاب لا يسري في مجراه الطبيعي الذي يجري في أنفس الناس جميعاً؛ لأن الإعجاب عند الأحباب يُحدث تغييراً _ولو طفيفاً_ على الجسد.. ومعلوم أن عند الأحباب جرح هم مجروحوه في مكان شديد الحساسية عن غيره في الجسم وهو موضع العورة، ومعلوم لدى الجميع لما هو شديد الحساسية؛ فهو يعد من السوءة، وفيه مجال لكي يكيد اللعين ويذهب بالناس إلى أدنى الدناءة وأرذلها وأشدها لعنة وأوسعها ظلماً ومهانة.

فلمَّا كان الإعجاب يحدث تغييراً على الجسد؛ كان أول المستقبلين لهذا التغير في الجسد_عند الأحباب_ هو مكان العورة والدبر.. وحينئذٍ لا يسري الإعجاب في جسد الأحباب مسراه

المعروف لدى الناس جميعاً! ولمعرفة المسار المعروف الذي يسلكه الإعجاب في أنفس الناس جميعاً؛ يجب معرفة أولاً كيف يأتي الإعجاب؟

كيف يأتي شعور الإعجاب؟

الظاهر المعروف أن شعور الإعجاب ينتج من خروجٍ عن المألوف المعتاد.. وكيف أنه تم وحصل وأنه على غير العادة.. وأن المتعجب ليس فيه أو عنده ما تعجب له، وكل ذلك يحدث تغييراً ولو طفيفاً على الجسد واستقراره.. وهذا هو الإعجاب1.

المسار الطبيعي للإعجاب

والواجب المفروض حصوله أن الذي يسري في النفس لرؤية ما تعجب له أن يكون:

أ- فإما تقدير لمن قام بهذا العمل ومحاولة فعل مثله أو عدم الفعل.. فقط تقدير.

ب- وإما لا مبالاة؛ فالنفس أسمى من أن تدخل في مقارنة فيما لها وعندها مع ما عند غيرها، فهي راضية مرضية بما لديها وعندها.

جـ_ وإما اثارة وقيام شهوة لما رأته النفس من فتنٍ وإمالة مُميلة..

- فإما أن يشكم أحدهم نفسه شكماً ويُلجمها إلجاماً.. وأن مثل نفسه لا تُفتن ولا تُمال لمثل تلكم الدناءة وانحطاط الإنسان وكرامته الكبيرة التي لا كرامة مثلها حتى تُقاس.. وأنه إن لم يكن هناك سبيلاً ومصرفاً حقاً تُصرف إليه الشهوة وتُفَض وتسكن؛ فالمهات

---

١. لا يهم إن كان إعجاباً أو انفعالاً أو غيره مما يحدث تغييراً على النفس واستقرارها، وإنما المهم معرفته هو أن أول المسقبلين لهذا التغير في جسد الأحباب هو موضع العورة.

قبل الإنجراف وراء ما دون ذلك من مصرفٍ أو سبيلٍ.. والممات أيضاً قبل أن تركن النفس وتتبع ما يأتيها من تصورات وأفكار بسبب ما رأته من إمالة مُميلة، وكل ذلك يحمي الكريم نفسه منه ومن أن تركن إليه وتنجرف وراء.. وكيف له أن يتوقف ولو لثوان لمثل كل هذه الأفكار والتصورات ولا ينسفها نسفاً حياءً من الله وتعظيماً ووقاراً له تعالى فهو الذي يعلم؟ وكيف يرضى ويسمح في أن يراه العظيم المطلع على مثل تلك الحالة من التفكير والتصورات؟

- وإما أن يترك للنفس لجامها؛ فتنجرف وتذهب بعيداً جداً وراء ما يأتي من تصورات وأفكار من جرآء كل تلك الفتن والإباحيات اللعينة كليهما.

د _ وإما حب شيء عند أحدهم تمنت النفس وأحبت أن تمتلك مثله أو تكون في مثل مكانه.

هـ _ وإما أن تكون لا مبالاة ولا اكتراث؛ فما مثل هذا يستحق الاعجاب لا بشيء يسيرٍ أو كثير، وأن النفس أسمى من أن تتوقف وتتعجب وتتمنى شيء كهذا.

ومن أمثال ما سبق يأتي للنفس ما تعجب له؛ فيأتي علي الجسد تغييراً يسري مسراه العادي عند الناس جميعاً.. ولكن عند الأحباب؛ فإن الأمر ليس كذلك.. فإن هناك كيد شيطان أَلبس عليهم مشاعرهم جميعاً.

ولما كان موضع العورة والدبر هو الـمُستقبِل شبه الوحيد للتغيير الذي تسبب فيه شعور الإعجاب؛ كان في استقباله هيجان يمحو أي شعور أو إحساس آخر في الجسد.. ويبقى فقط هذا الهيجان.. وعندها تماماً يبدأ الشيطان كيده.. فيتحول أي إعجاب إلى تفكير ذميمٍ سببه الهيجان في موضع الدبر.. ومن ثم تذكير بالقرب والوصل وحاجة في التخلص من ذلك الألم والهيجان.. ومن ثم فتحه سبيلاً للتخلص من ذلك الهيجان هو بإيجاد أحد لكي يمتطي، وتكون الصورة لدى الأحباب كالتالي إذا حدث إعجاب:

حالة شبه مستقرة ونفسية عادية.. ثم رؤية شيء يدعو للإعجاب، أو شيء يأتي لرؤيته أو سماعه تغييراً على النفس _ولا يهم ماهو تصنيفه أو صنفه_.. فيكون أول المستقبلين هو مكان الدبر والعورة؛ فيهيج هذا المكان؛ فحاجة للتخلص من هذا الهيجان؛ فإيحاءات وتصورات من الشيطان اللعين بأن التخلص منه هو بذلك السبيل.. ولبئس السبيل هو!

كيف تكون وسوسة الشيطان اللعين في حالة شعور الاعجاب؟

تكون البداية؛ برؤية شيء يدعو للإعجاب.. ومن ثم تكون الوسوسة مباشرة كالتالي:

" ماهذا؟ إنه هيجان في الدبر! نعم نعم لقد حدث لك في ما مضى كذا وكذا من امتطاء وغيره.. بالفعل لقد كان هناك قرب ووطئة جميلة وممتعة، وهكذا سيكون التخلص من هذا الهيجان أيضاً.. جميل! قربٌ وإيجاد أحد لكي يمتطي.. لقد زال بالامتطاء والركوب.. جميل.. أووووه!

ثم بعد حين؛ هيجان مرة أخرى.. إذاً أنت صرت واحداً من هؤلاء الذين عندهم انحراف وشذوذ.. لا يهم؛ فهذا طبيعي وموجود حتى في الطبيعة.. وهكذا خلقكم الله يا جميلة! ألا

ترى أن الأمر صار عندك كشهوة؟ جميل ذلك الشعور وصرف الهيجان بهذه الوضعية وتلك أيتها الجميلة.. أووووه.. جميل!" ثم يأخذ الشيطان يوسوس ويهمز بألفاظ النساء وملامحهن وتعابيرهن وجوههن إذا ما أخذ أزوجهن يجماعهن. وكل ذلك في حالة من الفكر ذميمة مظلمة! وكل ذلك في وحي بين أحد أحبابنا والشيطان.. يُوحونه فيما بينهم حتى خرج ماخرج من الأفعال والظلمات.

العلاج من الانحراف والشذوذ

منع النفس من الانجرار وراء وسوسة الشيطان

الأولى على كل أحدٍ من الأحباب بدلاً من إلقاء السمع لما يجول في المخيلة من إيحاءات وتصورات الشيطان ثم الزيادة عليها؛ أنه ما وإن يهيج موضع ومكان عورتك؛ فيأتيك ما يأتيك من إيحاءات وتصورات؛ كان الأولى بدافع الحياء وأنك من الفحول الأشداء العُتاة؛ أن تنسف ما يأتيك من تلك التصورات والأفكار.. وأن لا تُلقي السمع لها ولايهمك على الإطلاق ما هو هائج فيك سواء أكان في أعلى جسدك عند فمك أو في أسفله عند دبرك.. وكان الأولى لك _حينها_ من أجل أن توقف نفسك وتشكمها شكماً؛ أن تتخيل الآتي:

- مطرقة مُفزعة عتيّة صُلبة؛ آتية من السماء إلى الأرض.. وبها من السرعة والرهبة والرعب ماهو شديد.. وتتصورها واقعة ومصطدمة بموضع الدبر والعورة الهائج عندك.. وعند ذلك ستشعر بتغير تفكيرك تماماً.. فبدلاً من البحث عن أحد لكي يلتصق بك من الخلف؛ سوف تسعى لحماية عورتك من وقوع تلك المطرقة عليها وتهشيمها.. وكل ذلك في تفكيرك طبعاً، وبذلك لن يجد الشيطان طريقة ليدخل بها

عليك؛ لأن تفكيرك ومشاعرك قد انشغلت بشيء آخر.. والشيطان لا يعرف طريقة يدخل بها على الإنسان ليستزله إلا من خلال التفكير.

- أو أن تتصور سيفاً ثقيلاً جداً! صلباً ذو نصلين مُدببين.. ويا له من سيف غليظ شديد! أُطيح بهذا السيف بعنف وقوة غريبة.. ومازال قادماً مُستهدفك.. رهيب مرعب؛ فيشكمك شكماً على فمك الذي ترغب بأن تستخدمه في مصّ أحدهم.. فيشقه من الصدغ هذا إلى الصدغ ذاك.. فتتكسر أسنانك ويُقطع لسانك، وكل ذلك في ضربة مُئلمة تحُس بها وبما فعلته جميعاً.

- أو أن تتصور مخرطة عظيمة! مخرطة عظيمة تأتي عليك وأنت مُستلقي داخل تفكيرك على تلك الوضعية التي تنتظر فيها الامتطاء؛ فتُقطعك المخرطة والقاطعة قطعاً.

- أو أن تتصور قذيفة قُذفت من المدفعية الثقيلة المدمرة! قذيفة تأتيك على وضعيتك تلك التي أنت آخذ في التفكير فيها بالرغبة من أحدهم بأن يمتطيك وأن يفعل معك أفعلاً أخرى.. فتصيبك تلك القذيفة في فمك وفي دبرك ؛ فتخلع ما أصابته خلعاً وتجعله أشلاء ملقاة!

وكل هذا من أجل أن تُوقف نفسك وتشكمها إشكاماً وتلجمها إلجاماً عن الإنجراف وراء الشيطان اللعين ووسوسته التي لا تستطيع صرفاً لها نتيجة لذاك الجرح الهائج.
وكل ذلك أيضاً من أجل أن تدرك أنه ما هو إلا شيطان لعين هو من يبعث عليك كل تلك التصورات.

وكان الأولى أيضاً على أحبابنا أن لا يُسلِّموا أنفسهم للشيطان ووسوسته؛ لأن تحملهم وقدرتهم تُزيح الجبال وتهدها هداً.. وأنهم ما هم إلا رجال من الفرسان الأقوياء الطيبين الباقين في الأرجاء.. وأنهم ليسوا كما يقولون عن أنفسهم ولا شيء إطلاقاً؛ فما هم إلا رجال جبارون قد وقع عليهم ظلم ولهم أن ينتقموا من ظالميهم أو أن يعفوا عنهم ويسعون كل سعيٍ في الوجود من أجل أن لا يُظلم أحد آخر.

وها هم أحبابنا الذين يعانون انحرافاً قد عرفوا ما هم فيه.. وما ذاك إلا كيدٌ ضعيف من الشيطان الذي يكرههم بشدة جداً ويُعاديهم عداوة مبين.. ثم غير ذلك؛ ما هو إلا كأداة ليعلم الله بها من يؤمن بالأخرة ومن يشك فيها ويظن بأنها أسطورة من الأساطير الكبرى الواسعة الانتشار وكثرة المؤمنين بها.

بدلاً من الإنصات إلى وسوسة الشيطان؛ يمكنك أن تُعذبه إذا أتى يوسوس لك

على الأحباب أن لا يُسلِّموا أنفسهم إذا أخذ اللعين يستدرجهم ويوسوس لهم! بل يعذبوه عذاباً شديداً.. نعم يعذبوه عذاباً شديداً! أولا يرون أن لهم أن يُوحوا إليه كما يُوحي إليهم؟ وأنه ينفعل لوحيهم ويتأثر ويهيج ويولي مصرخاً ولا يستطيع تحملاً مثلما هو يوحي إليهم فينفعلوا ويتأثروا ويهيجوا وربما لم يستطيعوا في بعض الاحيان تحملاً!

ولما كان الأمر كذلك؛ كان لهم أن يعذبوه عذاباً شديداً بإيحائهم إليه أشكال الجحيم والعذاب الذي ينتظره يوم القيامة.. وهذا العذاب يعرفه جيداً وينتظره ولكنه يحاول أن يحيد منه ويفر.. ولذلك كان لكل أحد منا أن يُعذب الشيطان أشد العذاب إذا أتى يوسوس له.

ومن أمثلة ما قد يُستخدم للإيحاء للشيطان؛ هو كيف أنه يوم القيامة سيكون في العذاب الأليم الذي سيبق فيه لا خروج له منه.. فيتصورونه يُكب كباً فوق رأسه اللعين في العذاب الباقي المقيم.. فلا ذهاب عنه إلا لأسوء منه.. ثم هو يُريد خروجاً منه من شدة الغم؛ فلا يجد لذلك سبيلاً.. ويحاول أن يصبر فلا يجد للصبر نفعاً.. وإذا جزع من شدة العذاب الأليم وأخذ يصطرخ فيه؛ فلا يفيده اصطراخه شيئاً ولا هو بمخرجه من العذاب.. يُلقى في النار في مكان ضيق جداً؛ فينحشر فيه بين كلا الجانبين الموقدين ويداه مغلولة في عنقه مربوطة بها وهو لا يزال محدوفاً؛ فيأخذ يدعُ بالويلات!!

وكل ذلك يأخذ الأحباب يوحوه للشيطان إذا ما أحسوا أو شعروا به.. يوحوه بكبرياء منهم شديد لذلك اللعين الذليل الصاغر الذي لا يفقه شيئاً.. فكل ما يريده هو أن يستزلهم! ما هذا يا ربي؟ لعين في الأجواء ياربي بليدٌ أخرق.. يُريد منا أن نفعل السوء والفاحشة!

الاعتزال قليلاً عن الناس أولى للأحباب وأجمع لقلوبهم

وأما عن شعور الهيجان والألم في موضع الدبر وأثر الامتطاء السابق؛ فنرى أن الاعتزال قليلاً للأحباب أولى وأجمعُ لقلوبهم.. وإن لم يرغب الأحباب في الاعتزال؛ فما هم إلا قادة خبراء عتاة.. قادة خبراء يقودون جيشاً من أقوى الرجال وأشدهم بأساً والمعروفين بإيمانهم المتين وشجاعتهم وأخلاقهم الحميدة.. ومن ثم يبدأ الأحباب يعيشون حياتهم غير مُبالين البته لإيحاء الشيطان أو ما يأتيهم من هيجان وألم.

ومن أحب من الأحباب أن يعتزل قليلاً؛ فليعتزل ولا بأس حتى يعتاد على أنه مجرد هيجان وألـمٌ.. هيجان وألـمٌ يأتي ويزول سريعاً جداً حتى يكاد أن لا يُلاحظه إلى أن يزول نهائياً.. ومن ثم يحيى غير مكترث للهيجان أو للشيطان.. ويعود حامداً وشاكراً الله على أنه خلقه وأنجاه مما كان فيه ولم يعذبه في الدنيا قبل الأخرة، وهداه إلى سبيله وإلى نوره وتاب عليه.

قصة لوط

عندما جاءته الملائكة وقد تمثلوا بشراً حساناً جداً أضيافاً عليه.. على لوط.. وقبل أن يأتوه؛ مروا على النبي إبراهيم، والذي اتخذه اللهُ خليلاً.. فلما رآهم النبي إبراهيم؛ حسبهم رجالاً غرباء.. ولكنهم ليسوا كأي غرباء.. بل كانوا من شدة جمالهم وطيبهم؛ أنهم دخلوا على النبي إبراهيم وقالوا له:

_ سلام عليك!

النبي إبراهيم انبهر لما رآهم.. فقال لهم:

_ سلام أيها القوم المُكرمون الذين لا أستطيع أن أعرف من هم أو من أين!

وكان من شدة جمال هؤلاء الأضياف؛ أن النبي إبراهيم بعد أن سَّلم عليهم؛ ذهب على الفور إلى أهله وذبح عجلاً ثم شواه على حجارة مشتعلة لكي يُكرم به هؤلاء الأضياف.. ثم قدمه إليهم.. ولكن الأضياف لا يأكلون.. فلما قدمه إليهم ورآهم لا يأكلون؛ تعجب لفعلهم وخاف منهم.. فقالوا له:

_ لا تخف ! فإننا ملائكة من عند ربك إلى قوم لوط بالعذاب.

وكانت امرأة إبراهيم تشاهد هذا الموقف؛ فضحكت من زوجها إبراهيم بسبب خوفه منهم وعدم استطاعته أن يُميزهم بأنهم ملائكة... فقال الأضياف لها:

_ إنا نُبشركِ بمولود لكِ.

فأقبلت عليهم وهي صائحة ثم لطمت على وجهها.. ومتعجبة جداً قالت:

- يا ويلتاه ! وهل تلد المرأة العجوز؟

ثم قال لهم الخليل إبراهيم:

ـإنني قد صرت شيخاً كبيراً.. وصارت زوجتي عجوزٌ عقيم! فعلى ماذا تبشرونِ؟

فقالت الملائكة له:

ـ أولست تعلم أن الله قادرٌ على كل شيء! فعليك إذاً أن لا تكن ممن قنطوا من رحمة الله!

فقال إبراهيم لهم:

ـ وهل يقنط من رحمة الله إلا القوم الذين ضلوا؟

وبعد أن اطمأن قلب إبراهيم وهدأ روعه؛ أخذ يُجادلهم في قوم لوط وتعذيبهم.. كيف لهم أن يُعذبوهم؟ أوليس فيهم من يؤمن بالله؟ فكيف لهم أن يُعذبوا إذاً من يؤمن بالله؟!!

فأجابته الملائكة قائلين:

ـما فيهم مؤمنين قط.. غير أنهم مُعاندين أصروا على فعل فاحشة اللواط.. وقالوا بأن لهم أن يفعلوا ما يأتي على أنفسهم.. ولا شيء عندهم اسمه أن يتجنبوا أو أن يكفوا.. فلا شيء يدعوهم إلى أن يكفوا. وإن قال لهم أحد شيئاً اعترضاً على أفعالهم تلك، وأخذ ينصحهم وينذرهم؛ قالوا له بأنه كاذب.. وما من شيء اسمه نصيحة أو إنذار!

فقال لهم الخليل إبراهيم:

_ إن لوطاً معهم في القرية!

فأجابته الملائكة قائلين:

_ نحن أعلم منك بمن في تلك القرية.. وسوف ننجيه وأهله إلا امرأته؛ فإنها ستهلك.

ثم قال اللهُ لإبراهيم:

_ يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدال! إنهم آتيهم عذاب غير مردود.

لوط ينهى قومه عن شذوذهم وانحرافهم

وهكذا شآء الله بأن لا يُرد عنهم العذاب.. فقد حذرهم لوط وأنذرهم.. فقال لهم ناصحاً مُحذراً:

_ كيف لكم أن تفعلوا هذا؟ إن الله تعالى لايرضى لكم أن تكونوا هكذا.. ألا تتقونه وتخشونه؟

ثم أخبرهم قائلاً:

_ إن الله قد جعلني رسولاً منه إليكم.. وإنني لم أنصحكم إلا بكل خيرٍ وكل حسن.. ولا أريد مالاً أو سلطاناً من نصحي لكم.. بل إن الله هو من أرسلني.. وهو الذي سيجزيني على نُصحي وإنذاري لكم.

وقد أرسل الله لوطاً ليذكر قومه بأنهم رجال.. فقال لهم:

_ كيف لكم أن تأتوا وتشتهوا كل ذكر وتذروا كل أنثى من أزواجكم؟ إنكم نسيتم أنفسكم وسلمتوها للشيطان ولكل ما يطرأ عليها من دون ردعٍ أو لومٍ.. سلمتم أنفسكم للشيطان يدعوكم إلى كل فاحشة وظلم وسوء.. وأصبح كل شيء عندكم مقبول.. وأن كل ما يطرأ على النفس؛ إذا وجدتم له قبولاً؛ فمرحباً به.

وقليل من الناس من يعرف أن الله تعالى غنيٌ عن كل أحد.. فإنه لو كفر به كل من في الأرض وفعلوا أشد الأعمال إجراماً، وانتشرت الفاحشة بينهم انتشار الهواء؛ فليس ذلك ضآراً الله في شيء؛ لأنه هو الغني المتكبر يُلقيهم جميعاً _من كفر به_ في جهنم مبعدين بعيداً جداً.. لا مخرج لهم ولا راحة.. إلا أن الله هو المحسن الحميد الشاكر الذي يُجزي بأحسن الأعمال ويعفو عن باقيها ويغفره لمن آمن به.

قوم لوط قارنوا بين الإيمان والفاحشة.. فمالت موازينهم نحو الفاحشة

ولما كان الله سبحانه هو الغني عن كل أحد.. فاستغنى عن قوم لوط لما استغنوا.. فقلَّب لهم أفئدتهم وأبصارهم عندما لم يؤمنوا من أول مرة دعاهم فيها لوط.. فأصابتهم المقارنة بمُصيبتها.. فأخذوا يقارنون ما يدعوهم إليه لوط مع فاحشتهم.. فرجحت موازينهم الخرِبة.. فاختاروا الفاحشة على ما يدعوهم إليه لوط.. وظلوا مُصرّيين على الفاحشة في طغيان لا يُطيقون سماعاً لموعظة أو نصح من أحد.. وظلوا على ما ابتدعوه من الفاحشة.. وصارت القرية كلها ما فيها إلا لوط وبناته من هم مؤمنين على سبيل الله المستقيم.

قوم لوط كانوا يستمتعون بفاحشتهم ولا خلاف على ذلك

ولا خلاف على أن قوم لوط كانوا يستمتعون بفاحشتهم ويجدون لها لذة ومتعة؛ فهذا هو طريقهم الذي اتخذوه ليفضوا فيه شهوتهم.. شهوتهم التي لا انقضاء ولا انفضاض لها حقاً.. وكيف لها انقضاء وانفضاض والشيطان اللعين واقف على رأسهم؟ واقف على رأسهم يُشعلها لهم كلما انطفأت!

الفواحش لا تُنسب إلى الله

والذي قليلاً ما يُعلم؛ أنه ما كان الله أن يجعل في الإنسان شهوة مستقيمة يرضاها له؛ ثم يحدها له ويحذره منها.. كلا! ولكنَّ الناس هم المفسدون الكاذبون.. الكاذبون الذين يُضلون الناس ومن يُنسبون الفواحش إلى الله يقولون عليه ما لا يعلمون.

ولو اتبع الحق سبحانه أهواء الناس وشهواتهم المريضة وما ابتدعوه؛ لفسدت السموات والأرض بما فيها ومن فيها.. إلا أن الله تعالى يهدي الناس بما أنزله من كتب وبما أرسله من رسل ليعودوا إلى فطرتهم.

وقوم لوط قد غاب عنهم كل ذلك ولم يعرفوه.. ولم يتوقفوا ويسئلوا رسولهم حتى يعلموه.. بل كانوا لا يُطيقون سماعه واعتراضه على أفعالهم.

حالة قوم لوط لـمَّا نسوا الله

حرضهم الشيطان على فعل الفاحشة؛ ففعلوها.. والعجيب أنهم تفننوا وتخطوا لباسهم البشري، وعودوا أنفسهم حتى اعتادت.. فابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد على الإطلاق ممن كان قبلهم.. وهي إتيانهم وقيام شهوتهم للرجال دون النساء.

الحياء قد انقطع من أوصاله قطعاً عند قوم لوط

وقوم لوط لما ارتضوا الفاحشة وركنوا إليها؛ بدأوا يسعون عُمياناً إلى فعل المزيد من الذميم والفاحش.. فكانوا يتربصون السبل فيقطعونها ويسرقون سالكوها ويفعلون بهم الفاحشة.. وكانوا يفعلون المنكر مجتمعين في مجالسهم على الطرقات.. وكان يمتطي بعضهم بعضاً في الشوارع وفي مجالسهم ولا يستحون.. والنساء كذلك.. وانقطع الحياء من أوصاله قطعاً.. وصار ما يفعلون عندهم كالفطرة أو أشد وأقوم.. وكانوا يقولون لبعضهم إذا جاء لوط ينهاهم وينذرهم:

_إن لوطاً وأهله يتنزهون عن أفعالنا وينهونا عنها!

وقد كان لوط يقول لهم:

_إنني رسول من الله لكم.. وعليكم أن تُطيعوني وأن تنتهوا وإلا أتاكم عذاب الله!

فقالوا له ساخرين منه:

_أنت كاذب في الضلال.. والأولى إن كنت صادقاً أن تأتينا بعذاب الله! فما السبيل إلا ما نرى.. وما الحيوة إلا هكذا.

فسأل لوط ربه قائلاً:

_ ربي نجني وأهلي من أعمالهم الذميمة! فما هؤلاء إلا مفسدين إفساداً في الأرض، فلتنصرني عليهم!

فأرسل الله الملائكة بالعذاب إلى قوم لوط.. وجاءوا إلى لوط على هيئة رجال حسان جداً.. وعندما رآهم لوط؛ تضايق كثيراً لأنه يعلم ما الذي سيفعله قومه.. وقد حدث ما توقعه!

قوم لوط يريدون الأضياف لفعل الفاحشة.. ولا يعلمون أنهم ملائكة العذاب

ومن شدة إجرام هؤلاء القوم، وأنهم كم هم سُكارى بلا مُسكر، ولا رؤية عندهم إلا لفاحشتهم في نومهم وقيامهم وجميع أفعالهم؛ أنهم لَمَّا سمعوا بالأضياف عند لوط؛ هرعوا نحو بيته.. وكادوا أن يقعوا على الأرض من لهفتهم.. وكادوا أن ينقلبوا فوق بعضهم ويحكوا بوجههم الأرض متلهفين ومستبشرين بأولئك الرجال الجدد في كل شيء!

ولما وصل القوم إلى بيت لوط، وكان الأضياف عنده.. قالوا لـ لوط من خلف الباب؛ فهو لم يفتح لهم:

_أين الرجال الذين دخلوا عندك منذ قليل؟!

فقال لهم لوط يمنعهم:

_ اتقوا الله يا قوم ! إن هؤلاء أضياف عندي.. فلا تخذلوني أمامهم.. فإنني قد استضفتهم!

وحاولوا القوم أن يأخذوا منه الأضياف ويُراودوه عنهم وهو يُخلي بين الأضياف وبينهم.. فأتوه من هنا ومن هناك من أجل أخذهم.. وهو يكلمهم من وراء الباب وهم يحاولون أن يدخلوا عليه. وقالوا له غاضبين عليه أشد الغضب:

_ لقد نهيناك يا لوط من أن تُضّيف أي أحد.. ثم أنت ها! لم تنته ولم تستمع لنا وضَيَّفت الأضياف.. وها أنت ذا! تحاول مجدداً أن تمنعنا وتُضيع علينا تلك الفرصة هي الأخرى وهذا الحماس الذي نحن فيه للقاء!

فقال لهم يحاول أن يكفهم بأي شيء يستطيعه وأن يصرف شهوتهم إلى حقها:

_ يا قومي! هؤلاء بناتي أمامكم تزوجهم.. هاهن أطهر لكم إن كانتم مُصِّريين إلا أن تفضوا شهواتكم القائمة.. أوليس فيكم رجل رشيد واحد يعقل على أي شيء قد هرعتم؟!

فنهروه قائلين:

_ إنك تعلم أن ما بناتك ولا غيرهن نشتهي.. وإنك لتعلم جيداً أننا ما نُريد إلا الأضياف الرجال.

فقال لوط لهم مغتاظاً مُبغضهم:

_ لو أن لي ركن شديد آوي إليه أنا وأضيافي فيمنعني منكم! أو أن تكون لي قوة فأشكمكم بها شكماً.. فأنبهكم أيها العُمي السُكارى.

الأضياف يكشفون عن أنفسهم بأنهم ملائكة العذاب

فقال أحد الأضياف لـ لوط وقد فاض به:

_إن الله هو ركنك يا لوط! وإنه لركن شديد.. وإننا رسل ربك.. ولن يصل قومك أبداً إليك؛ فلا تخف.

ثم خرج أحد الملائكة على قوم لوط.. فألاح بجناحه على أعينهم فطمسها لهم بإذن الله.. فرجعوا إلى ديارهم يتحسسونها.. ثم قالت الملائكة لـ للوط:

_ إن دابر هؤلاء المجرمين مقطوع إذا ما أصبحوا.. والصبح قد أوشك فلا شيء بأقرب منه. وأنت يا لوط! امضي بأهلك في ظلام الليل.. وإذا سمعتم الصراخ والعذاب فلا ينظر أحد منكم خلفه.. ولكن الله قدر أن امرأتك ستهلك مع قومك.

وما إن جاء ميعاد إهلاك القوم بظلمهم؛ فزعوا.. وأحسوا بأس الله قادم وعذابه واقع.. فإذا هم يركضون.. فقال الله لهم:

_لا تركضوا.. وارجعوا إلى مساكنكم.. فلعلكم تُسألون!

فأرسل أحد الملائكة ذوي القوة جناحه تحت مساكنهم.. ثم رفعها عالياً في السماء وجعل أسفل شيء فيها هو ما كان أعلاها.. ثم أنزل الله وابلاً من الحجارة المُتتابعة وكل حجر عليه اسم من هو واقع عليه.. وصارت مساكن القوم بحراً قائماً في فلسطين.. بحراً في فلسطين وهو البحر الميت.. آية من الله لباقي الناس وكيف هو عذابه وإهلاكه الأقوام بظلمهم.. إن إهلاكه وأخذه أليم شديد!

الآية هي ضلال وجنون عند أكثر الناس

ورغم أن مساكن وقرى قوم لوط مازالت مكانها؛ إلا أن الناس لن يتوقفوا عن فُحشهم وظلمهم.. ومع سطوع ذلك البحر وظهور آيته، وأنها تحت أيدي الناس؛ إلا أن القليل من الناس من سينتبه لذلك البحر.

وصار الأمر أن تلك الآية تمر على الناس بلا قصد منهم.. من قبيل أن الطريق الذي يعبرونه ضُرب وأقيم بالجوار من هذا البحر.. أو أن الأحاديث الكثيرة التي مرت عليهم تضمنت ذكراً عنه.. وهذه هي الصلة التي تربطهم بذلك الأمر العظيم! فلا توقف ولا اتعاظ.. بل عليهم أن يعودوا سريعاً جداً إلى أعمالهم وحياتهم.. وليتوقف من يقول آية واتعاظ عن هذا الضلال المبين! وهذا هو ظن الأقوام في آيات الله _من أمثال قوم لوط_ طيلة حياتهم إلى ما قبل أن يُهلكوا بقليل..

ومن كان أعمى وأصم ظنه أن الأمر موت وحياة، وتعايش وتعامل للناس بين تلك الفترة من الحيوة إلى الموت، ولا يعرف غير ذلك ولا يهمه؛ فإنه سيقوم من موته مفزوعاً جداً ومفتوحة عيناه متسعة لا يستطيع لها إغلاقاً.. وكيف يُغلقها وتلك الأهوال بين يديه ومن خلفه؟ وكيف يُغلقها وهو منتظر بأن يُلقي في جهنم بعيداً مبعداً جداً؟

الأمور ليست بذات معنى.. إذاً لا تعترض عندما تُلقى في الجحيم! أوليست الأمور بذات معنى؟

ولما كانت الأمور عند العمي والصم ليست بذات معنى؛ أنه عندما يأخذوا للعذاب في الأخرة؛ أن لا يُعتقد أنهم يصيبهم العجب والدهشة لحدوثه! فعلى ماذا ستُصيبهم الدهشة أو العجب؟ فماذا في الأمر.. أوليست عندهم الأمور بلا معنى؟

وهكذا سيكون الأمر يوم القيامة:

إحياء بفزع.. ثم حشر.. ثم إلقاء في جهنم وعذاب إليم لا يُنتظر له راحة أو توقف قليلاً.. وإذا تبادرت إلى أذهانهم أية تسآءولات.. فليقولوا انتخاب وتطور للحياة.. انتخاب وتطور ولكن على هذه الشاكلة.. وهكذا ستسير الأمور في الآخرة:

فقرٌ شديدٌ للنفس لا استغناء لها بعده.. وحاجة لا يُنتظر لها قضاء.. وهمٌ وغمٌ لا تفريج لهما ولا انتظر لتفريج..

وهكذا ستكون الحيوة! وستكون بلا موت.. ولا يحق لأي أحدٍ من العُمي والصُم ممن كانوا في هذه الحيوة أن يُبدي عجباً أو أن يظهر دهشة! فعلى ماذا إذاً سيُصابوا بالدهشة أو العجب؟ كأن السموات والأرض ستُخلق ولأول مرة! ولكن على هذه الشاكلة من العذاب.

بالمناسبة!

من كان أعمى وأصم في هذه الحيوة؛ فإنه في الآخرة لن يفهم ماذا يجري أمامه وحوله يوم القيامة.. صدقاً!

هناك حلّان لمن يعترض على فطرة الله وسنته

ولما كان الناس قد علموا واستيقنوا أن الحق هو فيما أنزله الله في كتبه وبما أرسل به رسله؛ ولكنهم لا يطيقون ذلك ويعترضون عليه ؛ كان أمامهم حل من حلين لحل معضلتهم تلك!

- **فأما الحل الأول!**

فهو أن يجتمعوا جميعاً معاً.. ويقرروا أنهم سيستخدمون قوتهم المخبأة وقدراتهم العظيمة ويرجعون بالزمان إلى الوراء.. إلى الوراء كثيراً.. إلى الوراء حيث لا زمان ولا مكان بعد.. إلى الوراء قبل أن يخلق الله السموات والأرض.. إلى الوراء حيث سيُبدون اعتراضهم على الله وعلى فطرته.. على فطرته وعلى سنته التي خلق عليها الكون.. وأن على الله أن يُغيير تلك الفطرة إلى ما يهواه الناس من الأفعال العظيمة الجميلة التي ليست فيها دناءة ورذيلة.. وأنه عليه أن يتبع أهواءهم!

ثم إن الفريق المعترض قد اجتمع على أن يتخذ له زعيماً ينوب عنهم في الكلام.. ينوب عنهم في الكلام الذي لم يُعرف بعد.. وحتى لا يتلعثموا ويتخبطوا في بعضهم من الرهبة والخوف من الله إذا ما أخذوا يُكلموه سبحانه؛ فإنهم قد رؤا أن كتابة الاعتراض أيسر عليهم وأفضل من الكلام.. ولكنهم لا يعرفون ماذا هم كاتبون! فالحروف والقلم لم يُعلِّم الله بهما بعد.. ثم رؤا أنه لا بدا من الكلام! لكن الكلام هو الأخر ليس بشيء بعد. ولكنهم أجمعوا أنه لابد من الكلام ولا يُعلم كيف ذلك!

وأسنوا على الزعيم _من حرصهم عليه_ أنه إذا أخذ يتكلم مع الله؛ دسَّ وجهه في التراب.. دسَّ وجهه في التراب الذي لم يُخلق بعد هو الأخر حتى لا يرى شيء فيُحرق

من شدته.. وأنه عليه أن يسدَّ أذنيه جيداً جداً على الاطلاق حتى إذا ما قال الله لم يَذُب فزعاً من قوله تعالى.

وأما عن باقي الفريق الذي اجتمع للإعتراض فإنهم سيحتضنون كلهم جميعاً وبشدة حتى تكاد تختلط عظامهم.. ثم يغلقوا أعينهم حتى يكادوا يفقئوها وينكسوا رؤسهم حتى لا يسمعوا ويروا شيء؛ لأنهم لن يستطيعوا تحملاً إذا ما تجلى الله إلى المكان _حيث لا مكان بعد_ الذي اتفقوا عليه بينهم وبينه سبحانه.

ولـمَّا كان هذا الحل سيسصعب على المعترضين الكافريين قليلاً؛ كان هناك حل أخير!

- **وأما الحل الاخير!**

فهو أن يؤمنوا بالله وكتابه الذي نزَّل ورسوله الذي أرسل.. ويحاولوا بكل جهد إعادة تقويم أنفسهم وإرجاعها إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها.. إلى فطرة ربِّ السموات وربِّ الأرض وربِّ ما بينهما.. إلى فطرة من كرم الإنسان وفضله تفضيلاً ظاهراً.. ومن شدة ظهوره خفي.

وهذان حلان للمعترضين! فإن لم يسطيعوا الحل الأول، وتصلبت أعناقهم وجئروا إلا الكفر بالحل الأخير ورفضوه؛ فما هم إلا في الحيوة الدنيا يقضونها ثم في الجحيم يقذفون إن لم يُعذبوا في هذه الحيوة لظلمهم وفسادهم وإجرامهم.

استلقى المحترم مرة أخرى على جانبه وقد أنهى وأتم جمع كتاباته بقوله:

_ وهذا بيان للأحباب! وأحسبني قد أتممته وفندت لهم أمرهم.. ورجع كل أمر من تلك التركيبة اللعينة إلى أطرافه المكونة.. وقُبض عليها جميعاً وسحقت سحقاً.. واستبان للأحباب كيف هي سبيل الشيطان اللعين لعنه الله.

ثم وقف المحترم ومعه أوراقه على كره منه وإرهاق ظاهر عليه.. لكنه لا يُبالي لكراهة نفسه أو لإرهاقه الظاهر.. وعلى حالته تلك؛ رأى يوسف ولم يكن يعلم بوجوده.. فقال له مبتسماً على الرغم مما هو فيه:

_ أهلاً يوسف.. متى جئت؟

فقال يوسف مُقدراً تعامل المحترم اللطيف.. ولكن ما سمعه من المحترم غالب على الأجواء ومؤثر فيها:

_ شكراً على لُطفك أيها المحترم.. لقد جئت منذ قليل.

فقال المحترم:

_ مرحباً مرحباً .

ثم اعطى الأوراق لدانيال وقال له :

_ اطبعها واعطي نسخة لآدم إذا ما شُفي.. واعلم أن أمر شفاءه لله وحده كما هي الأمور جميعاً.. وإني لا أملك من أمره شيء.. ولا أدري ما يفعل الله بي ولا به.

* * *

المحترم محق في أنه لا يدري ما يفعل الله في آدم.. ففي المشفى؛ يرى أحد الأطباء أن جسد آدم ساكن على غير العادة.. إلا أن الدماميل والتقرحات على وجهه وعلى أطرافه قد ازداد حجمها وقد غطت وجهه جميعاً ويديه.. وكأن جلده قد تحول إلى مواضع دماميل مكتظة. ولما رأى هذا الطبيب تلك الحالة التي عليها آدم؛ هلع وطلب من أحد الاطباء ذوي الخبرة أن يُعاين تلك الحالة.. فجاءه ولاحظ أن معدل الأكسجين الذي يتنفسه من الأنبوبة لا يستقيم لديه وأنه غير كاف.. فرأى أن يفتح له فُتحة في رقبته.. في قصبته الهوائيه بعدما انسد أنفه وفمه لِما اكتظ فيهما من الدماميل.. وأنه عليه أن يُنقل إلى غرفة أكثر تجهيزاً.. غير أن هذا الطبيب ذا الخبرة قد لاحظ أمراً جديداً.. فقد وجد أن الدماميل والتقرحات التي على كَـفّـا آدم تزداد وآخذة في السريان إلى باقي جسده.

يتصلوا على الطبيب يحيى لكي يخبروه.. ويسألوه ما القول في أن يبتُروا كفاه بعد أن أجمعوا على ذلك؛ فأجابهم قائلاً:

_ تعاملوا فقط مع تنفسه! ودعوا كفاه حتى آتي ولا تقرباه ببترٍ.

وصل الطبيب يحيى إلى غرفة العمليات وقد انتهوا من مده بالأكسجين عبر قصبته الهوائية فقال لهم:

_ اطلعوني على آخر أخباره !

فقالوا أنه كما يرى.. والدماميل آخذة في السريان بكثرة من كفاه إلى باقي جسده.. ثم نظر يحيى إلى أمشاط قدميه فوجدها ككفيه والدماميل آخذة أيضاً تكثُر للأعلى في جسده؛ فقال لهم:

_ البتر ليس بحل! لأن الدماميل تكثر فقط من أطرافه إلى أعلى جسده.. وهي ليست بجديدة.. أي ليست بجديدة تبدأ من أطرافه وتنتشر إلى باقي جسده.. كلا! بل هي تنتشر

زيادة على ما هو موجود في الجسد.. ولو نظرتم إلى أمشاط قدميه وجدتم الانتشار نفسه؛ لأنهما أيضاً أطراف.. فلا فائدة إذاً من قطع كفيه أو جميع أطرافه؛ لأن البذرة موجودة في جميع جسده، ولكنها تتأخر في النبت قليلاً في بعض أماكن جسده.

سأله الأطباء قائلين:

_ وما العمل إذاً؟!

فأجابهم قائلاً:

_ ما هناك من عمل! وأنا لا أدري.. هل أقول أنه محظوظ لبقاءه حياً مع حالته تلك أم ماذا؟ فأمامكم مصاب بالإيدز يا سادة! وفوق ذلك أنه صار تكتلات تتكتل من الدماميل ومَعرضاً للتقرحات.

وفي خلال تفقده لجسد آدم؛ لاحظ الطبيب يحيى شيئا غريباً.. فطبيعة الدماميل على رجليه ليست كالتي على يديه.. فهي رطبة تلك التي على رجليه؛ فأخذ يستنبط، ثم أرجع الاختلاف في طبيعة الدماميل التي على يديه عن التي على رجليه؛ إلى أن يداه عاريتان وليست مغطاتين.. وعلى العكس في رجليه؛ فهما مستورتين شبه معزولتين عن الجو. فأطلع من معه على ما رأى ثم أخذوا يتشاورون وقتاً وخلصوا إلى تعريته تماماً وتعريضه إلى نوع خاص من الضوء.. وأن يكون ذلك في جو من الهواء البارد الـمُنقى.. وكل ذلك ما هو إلا محاولة يائسة.. لكنهم خلصوا بعد تشاورات أخرى إلى فعلها.. فكتب الطبيب يحيى طلباً لتجهييز ذلك المكان. وبالفعل تم التجهيز، ووضع فيه آدم وكان عارياً تماماً.. ويالجسده! فلو اطلع أحد غير معتاد على منظره؛ للزم الفراش يتعافي من رؤيته.

الغريب في الأمر أن تلك المحاولة أظهرت أن بعضاً من الدماميل تتيبس وتضمر مع ما يمده الطبيب يحيى من أدوية للجسد ثم بعد ذلك قبولاً لأن تتعافي!!

* * *

الفصل الرابع عشر

وصل المحترم إسحق إلى أحد البيوت القديمة في بنيانها الموجودة في منطقة نائية معزولة.. ثم نادى قائلاً:

_ إبراهيم!

وأخذ ينظر في البيت.. يا إبراهيم!

فرأى الفتى إبراهيم وكان مستلقي على أريكة في غرفة ناحية المشرق ونظره إلى السقف غير أنه لا ينظر إلى شيء محدد.. وهذه الغرفة تطل على نهرٍ صغير بالخارج. تبسم المحترم لـمَّا رأه وأشرق وجهه.. ثم قال له:

_ سأدخل!

دخل المحترم ومشى ناحية الفتى ونظر إليه.. ولكن مازال بصر الفتى إلى الأعلى؛ فظهر القلق على وجه المحترم.. ثم سأله قائلاً:

_ منذ متى وأنت على هذه الحالة؟ تبدو شاحب اللون، وواضح أنك لم تأكل منذ فترة... سأُعد بعض الطعام ولكن عليك أولاً أن تستعيذ بالله مما حلَّ عليك من الكبر! هيا.. قل أعوذ بالله السميع البصير!

الظاهر على الفتى أنه في حالة من حالات الكبر والكبرياء.. قال المحترم في نفسِه وهو ذاهب يُعد طعاماً:

_ لو حدثته بكل شيء ما هو بميجب.. لأنه لا يبالي ولا يكترث لشيء.. فهو يتكبر على كل شيء؛ لأنه يشعر بمخلوقية كل شيء.. أي أن كل شيء أمامه الآن مخلوق وناقص وفي حاجة. حقاً إنه لا يبالي لشيء وما هو بذاهب عنه كبره هذا؛ إلا إذا استعاذ بالله السميع البصير! فهو تعالى الذي أمرنا بالاستعاذة به إذا ما حلَّ الكبر علينا.. والكِبرُ كأي شعورٍ آخر فينا.. مثل الرحمة والكرم والرضا؛ فأرواحنا جميعاً هي من روح الله الرحيم الكريم الرضا المتكبر ربِّ كل شيء وخالقه.

أعدَّ المحترم الطعام. ثم ذهب إلى الفتى ورفعه إلى صدره وقال له:

_ هيا استعذ بالله.. هيا.. قل أعوذ بالله السميع البصير.. هيا! إن الله هو من أمرنا أن نستعيذ به.. هيا إبراهيم!

فنطق الفتى بصعوبة كبيرة قائلاً:

_ أعوذ.. _وأخذ نفسَه وعل صعوبة_ أعوذ بالله.. أعوذ بالله السميع البصير!

فقال المحترم:

_ تعال لنأكل! أعلم أن الأمر به صعوبة.. لكن ما إن تبدأ حتى تزول تلك الصعوبة.

المحترم يتبسم وحاول أن يقول شيئاً وهو آخذه ليأكلا.. لكن أي كلام عند الفتى الآن؛ ما هو إلا سقم.. فانتظر حتى يكسر الحاجز ببدءه في الأكل.. وعلى الطعام أخذ الفتى يذكر اسم الله وما زال أثر الكبر عليه.. قال:

_ الحمد لله الذي يطعمنا ويسقينا من غير حول لنا ولا قوة.. يارب ارزقنا خير منه وأنت خير الرازقين! _ودع المحترم في سره بمثل ذلك_

قال المحترم:

_ شعور الكبر والكبرياء جميل.. من أجمل الشعور الذي أعرفه.. ولكن لا قدرة كافية لجسد الإنسان في أن يتحمله.

فقال الفتى:

_ نعم.. إنه شعورٌ جميل.. والله رحيم عندما أمرنا أن نستعيذ به.. ولربما تضرر أحدنا إذا استمر في البقاء عليه.. وإذا ما استعذنا بالله سبحانه؛ فإنه سيُعيذُنا.

قال المحترم:

_ وأيضاً أمرنا أن نستعيذ به من أجل التعامل مع الأخرين من الناس حتى لا ننفعل عليهم ولا نتحملهم.. والأكثريين من الناس لربما أساءوا وظلموا إذا ما حلَّ عليهم الكبر؛ لأنهم ببساطة لا يعلمونه.

قال الفتى وعليه غرابة:

_ إذاً هم لا يستمتعون بالكبر ولا يحاولون بلوغه؟_وبالمناسبة! الفتى لا يعرف أحداً من الناس غير المحترم.. وهو لم يتعامل مع أحد من قبل غير أبيه والمحترم.. وأما عن أبي الفتى؛ فإنه قد مات منذ مدة_

قال المحترم:

_ نعم! إن كثيراً من الناس لا يعرفون ما هو الكبر أصلاً .. وإذا ما حلَّ عليهم؛ فإنهم يظلمون ويسيئون.

قال الفتى:

_ وكيف للناس أن يظلموا ويُسيئوا؟

قال المحترم:

_ أوتدري يا إبراهيم كيف أنني أقول لك: إذا ما أحسست أني تأخرت كثيراً عن القدوم إليك؛ فهناك مخزناً صغيراً.. مخزن صغير مفاتيحه معلقة هناك _وأشار بيده في إحدى نواحي البيت_.. فإذا ما تأخرت؛ تفتحه وتأخذ ما فيه.. وفيه خطاب تعرف به ما الأمر.. لأنه لربما حضرني الموت قبل أن أُسلمه إليك؟

قال الفتى:

_ نعم أذكر أيها المحترم.. وأذكر أنك قلت لي: وإذا ما أتيت إليك؛ فلا تسألنى عن ذلك المخزن وما فيه! وإنما ذكرته لك في حالة أنك أحسست أنني تأخرت كثيراً عن القدوم.

قال المحترم متبسماً:

_ لقد عملت بالوصية ولا تزال لا تسألني عنه. وبالمناسبة! فهذه كانت وصية من أبيك رحمه الله؛ أنه إذا ما أحياني الله وأحياك إلى ميقاتٍ تبلغه؛ أن أسلمك ما في المخزن.

قال الفتى مبتسماً ويا لجمال تبسمه:

_ أولم يحن الميقات بعد؟

قال المحترم مبتسماً:

_ لربما قد اقترب.. اقترب كثيراً.

فقال الفتى وكأنه مهتم:

_ جميل!

المحترم ينظر إلى الفتى.. ثم قال له:

_ سألتني منذ قليل: كيف للناس أن يظلموا ويسيئوا؟

قال الفتى:

_ نعم سألتك! سألتك بعدما قلت لي إنهم لا يستمتعون بالكبر.. وبسببه هم يظلمون ويسيئون.

قال المحترم:

_ الناس يظلمون؛ بمحاولة أخذ ما ليس بحق لهم.. ويظلمون أنفسهم بجعلها تُقدم على الظلم وهي أسمى من فعل ذلك.

قال الفتى:

_ أولا يخافون أن يُحاسبهم الله على ظلمهم؟ أولا يخافون أنهم لربما ماتوا في لحظتهم ولم يستغفروا الله على ذنوبهم؟

المحترم ينظر إلى الفتى ولا يستعجب من كلامه عن الاستغفار؛ فالفتى عنده أن الناس مؤمنين بالله ويشعرون بأنفسهم وليسوا تائهين.. قال المحترم:

_ الناس لا تؤمن بالله العظيم.. أكثرهم لا يؤمنون بالله العظيم إطلاقاً.. والقليل الباقي معظمهم لا يؤمنون به ولا يذكرونه إلا عند الكرب والشدة.

الكلمات وقعت على الفتى تُزلزله.. ثم قال مستعجباً ومستغرباً:

_ كيف لا يؤمنون بالله؟ كيف ماذا؟!! _لا يكاد يستصيغ السؤال_

حاول الفتى استصاغة ذلك؛ ولكنه لا يُستصاغ له... وحاول جعله يستقيم عنده ولو لِلمحة لكنه لا سبيل! ثم قال المحترم؛ فأخذ الفتى يستمع وذهوله لا يزال قائماً:

_ أنت تعلم كيف أن الله رحيم.. وأنك دائماً القول بأنك ما تأتي بحركةٍ؛ إلا رأيت كيف هي رحمة الله في ذلك، وكيف أنه قائم عليك، وقبل ذلك تعطفه وقوله بأن تكون.

قال الفتى :

_ بالطبع إن الله رحيم وهو معي أينما كنت.. أرآه ويراني.. أرآه لأنه هو الظاهر الذي لا شيء أظهر منه.. وهو أيضاً الباطن الذي لا شيء أخفى منه.

قال المحترم:

_ من هنا تماماً كان اغترار الناس بالله الرحيم! اجترءوا على فعل المعاصي والذنوب حتى اعتادوها ولم يستغفروا.. بل تمادوا وتطاولوا حتى نسوا الله وجحدوا رحمته مع كونها محيطة بهم.. والتي لولاها لخسف الله بهم ما بين السماء والأرض؛ لأنهم افتروا الكذب وخرقوا لله ما خرقوا من الصفات وقالوا عنه كل مالا يليق.. وتطاولوا وقالوا بأنه ليس موجوداً.. وهذه هي حالة أكثر أهل الأرض.

قال الفتى والحزن على وجهه والضيق حقاً في قلبه:

_ أهذه حال أهل الأرض؟ إنهم لظالمون! وكيف لك أن تعيش معهم؟ ألا تخاف أن ينتقم الله منهم انتقاماً أليماً بسبب ظلمهم، فترى كم عذاب الله أليم، فتُصعق ميتاً لرؤية العذاب؟

وإني لم أكن أفكر في عذاب الله.. ولكن لَمَّا قلتَ لي ذلك؛ فإنني لا أستطيع حقاً التصور.. فآآآه من عذاب الله.

قال المحترم:

_ إني أحاول أن أصلح منهم ما استطعت.. وهناك كثيرٌ من الناس _فقط في زماننا هذا[1]_ يحتاجون منادة واحدة فقط حتى تجدهم أفواجاً يتوبون إلى الله ربهم ويؤمنون به.. وأما الباقى فأدعوهم بكل شيء؛ وأعلم أنهم لن يؤمنوا بشيء.. ولكن عليَّ أن أُبين أمرهم للناس حتى لا يكونوا فتنة لهم.

---

1 _ بالمناسبة! زماننا هذا هو آخر الأزمنة، ولا يُعلم أسيُقيم الله الساعة _ يوم القيامة _ قبل أن أُنهي ما ابتدأته في هذه الرواية أم بعد دقيقة من الآن أم ماذا هناك حقاً؟!

قال الفتى على حسرته:

_ أولا تلومهم أنفسهم فينتهوا.. فيعودوا غير متحملين وطالبين من الله أن يتوب عليهم ويرحمهم وإلا كانوا خاسرين حقاً؟

قال المحترم:

_ هؤلاء الناس قد نسوا أنفسهم.. ثم نسوا أن الشيطان على كل واحد منهم.. على كل واحد منهم يُزين لهم أعمالهم وأقوالهم.. وإن حدث مرة ولامتهم أنفسهم؛ أقعد الشيطان لومهم.. أقعد لومهم بأنهم قد أحسنوا صُنعاً وقولاً.

قال الفتى وعليه غرابة ويحاول التجميع والتذكير:

_ الشيطان.. أوتعني إبليس؟!

ظهرت على وجهه المحترم ابتسامة.. فهو يعلم أن الفتى لا يعرف إلا القليل جداً عن إبليس.. ثم إن إبليس وجنوده لا طاقة لهم إطلاقاً بالفتى.. فكم الفتى مُقرب من ربه!

أخذ المحترم ينظر ويمعن في وجه الفتى إبراهيم، ثم تبسم أكثر، والمحترم يظن في الفتى أنه من الذين اصطنعهم الله لنفسه؛ فقال مبتسماً:

_ كم وجهك منير يا إبراهيم! ما شاء الله على هذا الجمال.

تبسم الفتى ضاحكاً وأحال بصره جانباً من الحياء.. ثم قال:

_ وأنت وجهك منير أيها المحترم إسحق.

فقال المحترم:

_ بل أنت الأنور.. ما شآء الله.

تبسم الفتى أكثر.. ثم قال المحترم:

_ إذاً أنت لا تعلم عن إبليس؟

قال الفتى:

_ كلا! أعلمه.. أخبرني أبي عنه وعن أنه أبَى السجود لآدم مع الملائكة، وقد كان يُعد واحداً منهم.. وأنه قال إجابة لِما لم يكن مع الساجدين؛ أنه خُلق من نار وخُلق آدم من طين.. فقلص وزعم كاذباً أن أسباب السجود هي في النار والطين.

أبدى الفتى على وجهه أن هذا ما يعلمه.. فقال المحترم :

_ نعم تماماً! هو كذلك.. فقد أمره الله بالسجود لآدم مع الملائكة فهو واحداً منهم؛ فأبَى! ومن شدة حماقته أنه ركن إلى زعم باطل؛ وهو أن الله خلقه من نار وخلق آدم من طين! فكفر الشيطان بالله على الرغم من أن الله كان يكلمه.. ومن ثم طلب إبليس من الله أن يُبقيه حياً إلى يوم القيامة وسوف يُريِّـه كيف سيصنع بهذا الإنسان الذي كرمه عليه، وما الذي سيفعله به وبذريته؛ إلا قليلاً منهم.. فأولئك لا يستطع معهم سبيلاً.

وكان إبليس يعلم بطبائع ما على الأرض من دواب قبل خلق آدم والذي سيجعله الله على الأرض خليفة له يفعل مثل أفعال الله؛ لأنه فيه من روح الله.. وكان ظن إبليس أن هذا

الآدمي ماهو إلا شبيه بما على الأرض من دواب ولن يغنيه تكريم الله وتفضيله له.. بل سيطول عليه الأمد وسيسئم من تكريم الله له وتفضيله إن كان أصلاً يعلم أنه مكرم ومفضل.

قال الفتى:

_ وكيف لـ للعين بكل حماقته تلك أن يصدقه الناس؛ فهو لا يستطيع أن يأتي بجملة يوسوس بها ويُظن فيها الصدق أو أن لها أن تُعقل كم قلتَ؟

قال المحترم:

_ يأتي الشيطان للإنسان ومن قابليته لكل شيء.. من قابليته للحب والكره.. والأمن والخوف.. والعز والإخلاص لشيء.. والاتباع للرب والذي هو مفطور عليه الإنسان. ويأتيه أيضاً من خلال الشهوات بأنواعها.. فيتخذه الناس ولياً لهم ويستمعون له.. ثم يقولون على الله كل ما لا يليق.. فيفعلوا المزيد من السوء والظلم حتى يُكبوا كباً في جهنم جميعاً.

قال الفتى مستغرباً لكل ما يقوله المحترم عن الناس:

_ أوليس الأولى على الناس أن يتخذوا الله ولياً لهم بدلاً من أن يتخذوا الشيطان اللعين؟

قال المحترم مستغرباً هو الآخر:

_ الأولى على الناس أن لا يكفروا بالله وما من شيء في هذا الكون يدعوا إلى الكفر بالله!

قال الفتى:

_ وماذا يقولون إن قلت لهم أنهم مجرد ماء.. مجرد مني أُخرج بعد تمتعٍ يُصبُّ صبَّـاً منهم؛ فيخرج منه إنسان يتكلم؟

قال المحترم:

_ هم لا يصدقون ذلك! _ثم ضحك وأخذ يتحسر على تكذيب الناس لمثل هذا وهم موجودون منه_

فقال الفتى إبراهيم:

_ أولا يصدقون بأنهم مخلوقين؟

قال المحترم:

_نعم! هم لا يصدقون ذلك.. ولوقلت لهم بأنهم مخلوقين؛ لوجدتهم يقولون بأن تدع عنك هذا الضلال.. فماذا في الأمر؟ إنسان كان في رحم أمه ثم ولد.. وها هو هناك! ما الذي تُريده منه؟ وما الذي تُريد أن تقول؟

قال الفتى:

_ يبدو أنهم راضون بكفرهم رضاً تاماً ولا يريدون أن يغيروا ما في أنفسهم وما يهوونه!

قال المحترم:

_ أولا تعلم أن اللعين قد اختار الكفر على الإيمان والله هو من يكلمه؟ ولو قلت لهم إنهم مخرجون أحياء مرة أخرى بعد موتهم؛ لقالوا: أولم نقل لك بأن تدع عنك هذا الضلال؟ كيف للعظام والتراب أن يخرج أحد منهما حي مرة أخرى؟!

قال الفتى:

_ يا إله الكون.. إنهم مساكين! أولا يعلمون أنه ما من حجة فيما قالوا؟

فهل ياتُرى! إن كانت هناك صعوبة في إحياء أحدهم وخلقه؛ أستكون في البدء قبل أن يُعرف ويُرى أم إن الصعوبة ستكون بعد أن عُرِف وكان؟

أم أن الصعوبة كلها ستكون في إيجاده وإعادته من شيء بقي منه1وأنه لن تكون هناك أية صعوبة إذا وجد في أول الأمر من الماء والمني الذي لا يُمت لجسده بصلة ولا ينتظر منه شيء؟!

أم أنه ليس هناك من إعياء أو صعوبة في الخلق؟ وأنه ما هناك من صعوبة على الله في أن يعيد الخلق حتى وإن انتهي أمرهم إلى حجارة أو حديد أو انتهى أمرهم إلى شيء مهول.. لا توجد صعوبة لأن الله لم يُـعِيه أن خلق الأولين.. ولا يُـعِيه كما يرى الناس أنه لايزال يخلق ويُخرج خلقاً جديداً من كل شيء في الآخرين.. وهكذا هي إعادة الخلق.

استمع المحترم إلى الفتى وقد أعجبه كلامه.. ثم قال المحترم:

_ أترى مع كل ما قلته من الحق والصدق؛ فإنك سوف تجد الكثير من الناس لا يزالون يتبعون الكذب والمكر ويستظلون تحته ليتمتعوا قليلاً بأهواءهم المريضة.. والأمر قد وصل بالناس يا إبراهيم؛ إلى أن يزعموا أن كل شيء قد انحدر وخُلق من شيء واحد. _ذكره المحترم ليه ليرى رده_

قال الفتى:

_ هذا زعمٌ صحيح.. فالله الواحد؛ هو خالق كل شيء.. لكنه تعالى لا يشبهه أي شيء؛ فأي شيء ليس مثله.

ضمَّ المحترم شفتاه على بعضهما إلى داخل فمه؛ فقد فُجئ برد الفتى هذا؛ فقال وشيء من التبسم علي وجهه:

_ هذا صحيح.. ولكنهم لا يظنون ذلك.. بل إنهم يزعمون أن هناك شيء واحد في أول الأمر بعيداً عن الله.. ثم من هذا الشيء الواحد جاء شيء آخر.. وهكذا إلى أن تصل إلى أن كل شيء قد نزل عن شيء آخر قبله.. فهناك مثلاً عدة حيوانات! يزعم بعض الناس أن أصلها وأولها شيء واحد.. ثم بدأ هذا الشيء يخلق من نفسه أشياء أخرى إلى أن وصل الأمر إلى ما نراه.. وعلى هذه الحال؛ صار الأمر في السموات والأرض.

قال الفتى ومال برأسه إلى الأمام وكأنها ستقع على الأرض مذهولاً:

_ أوهذا حقاً ظن يظنه الناس أو بعضاً منهم؟ طيب.. لماذا قالوه في الأصل أصلاً؟!

قال المحترم:

_ لأنهم نظروا إلى أحوال الناس وإلى ما يحدث بينهم وفيهم؛ فحسبوا أن الناس كلهم مخدوعون بسبب أن لهم إيمان ودين.. ولا يهم ما الذي يؤمن به الناس؛ فما هو جميعاً إلا سواء.. وما هو جميعاً إلا أساطير حدَّثها وحكاها من سبق وخيال أورثوه لمن بعدهم.. وما يقوله

الناس عن خالق لهذا الكون؛ ما هو إلا المستحيل، ولكن الناس من قلة علمهم وسفاهتهم صدقوا القول بوجود خالق خلق كل شيء.

قال الفتى وعلى وجهه الذهول:

_ سبحان الله! كيف يُصدقون ذلك؟

قال المحترم:

_ صدقها من هو مفتون ليس عنده إيمان متين.. فاتبعها منجرفاً وراءها لا يستطيع تحملاً من كبح نفسه أكثر، وأن جميع السبل سوف تنفتح أمام النفس لقضاء ما تهواه وتريده.

قال الفتى حزيناً ضائق الصدر:

_ طيب.. إن كان الأولين من الناس قد ظلموا ظلماً كبيراً بكذبهم على الله، فخرقوا لله ما خرقوا من صفاتٍ وأفعالٍ، فابتدعوا أدياناً وأحزاباً كاذبة مفترية؛ فإن الإلحاد هو أشد ظلماً.. لأنه قد محى ويمحو أي أثرٍ وبقية باقية مما فطر الله عليه الناس، والتي لم تستطع الملل والأحزاب الأولى أن تُزيله أو أن تقربه. وأن الإلحاد قد أسن وابتدع أمثل طريقة لإخراج الناس إلى الظلمات.. إلى ظلمات النفس حالكة السواد.. وأن الإلحاد قد بسط وفرش الطريق ويسره كثيراً لكي يعمل الشيطان دون إعاقة أو عقبة.

قال المحترم راضياً عما قاله الفتى إبراهيم:

_ أحسنت يا إبراهيم.. أحسنت! ثم إن هناك شيء آخر؛ وهو أنهم إن كانوا يطعنون ويهدمون الدين؛ فإنهم بذلك يهدمون معتقدهم بأيديهم؛ لأنهم هم أصحاب دين.. هو دين الجهلاء التائهين.

ثم أكمل الفتى إبراهيم قائلاً والحزن مازال مخيماً عليه:

_ أريد أن أعرف.. كيف صدق الناس كل الكذب؟ فهل كان أحد منهم شاهد وواقف عندما تحول أحد المخلوقات إلى مخلوق آخر.. فشهد على ذلك؟

وهل كان واقفاً يسجل في كتاب كيف تم أول تحول؛ فأخذ يسجل ذلك، وأخذ يستمع من المخلوق الذي سيتحول كيف اهتدى إلى ما سيتحول إليه.. فسأله الذي يسجل كيف أنه تم وكان؟ فقال له خافتاً صوته بأن عليه أن لا يسأله مثل هذه الأسئلة وأن لا يتسسب في فضح أمره! وقال له أن عليه أن يكتم عنه عدم قدرته في أن يجيب على مثل تلك الأسئلة وأن لا يتكلم بمثلها مع أحد حتى لا تُعرف وتُشاع بين الناس.. وأن على الناس أن يتقبلوا فكرة التحول بين المخلوقات.. وعليهم أيضاً أن لا يتبعوا الضلال الذي يقول بخالق رقيب شاهد مالك ليوم الحساب.. يوم يُحاسب كل أحد على كل صغيرة وكبيرة مما قدمت يداه. وأن المخلوق الذي تحول وعد الذي يُسجل؛ بأنه سُيعطيه ويرسل إليه ملابساً وأموالاً كثيرة إذا ما كتم عنه كل تلك الأسئلة.

ضحك المحترم بصوت عالٍ على الطريقة التي أنهى الفتى بها كلامه.. ثم قال المحترم بعد هنيهة من الضحك:

_ بل هم قد اعتمدوا في زعمهم هذا على أن ما على الأرض من دواب شبيهة في تراكيبها الداخلية مع بعضها.. ويوجد بين بعض الدواب ما هو شديد الشبه.. وقالوا أنه إذا ماكان الأمر كذلك فلا بد من أن يكون هناك تنقل وتحول من إحدى الدواب إلى دواب أخرى أذكى منها.

وبالمناسبة! هكذا جاء الإنسان عندهم وأصبح له كل ذلك الذكاء.. فهو آخر الدواب في التنقل والتطور.. وهكذا هم يفسرون ذكاء الإنسان وقدرته على البيان والتكلم خلافاً لباقي الدواب.. يفسرون ذلك بالتنقل والتطور ومرور الوقت والحاجة إلى النجاة والقدرة عند الدواب الأولى على ابتكار الصفات والسمات وجعلها فيهم، ومن ثم عقدهم الاتفاقيات بينهم جميعاً وبين الأرض نفسها، وبينهم وبين البحار والغابات والصحاري وغيرها!

ومما يستخدمونه لتفسير تنوع الحياة؛ هو قدرة الدواب الأولى على معرفة أنها وصلت إلى حد التحول فتتحول.. ومعرفتها السبيل إلى أي شيء ستتحول!

وأنهم اتخذوا من معرفتهم بأجزاء وتركيبات المخلوقات سبباً للقول بأنه ما هناك من خالق.. فالأمر عظيم! فكيف _إذاً_ هناك خالق لكل تلك العظمة والجمال والقدرة؟!
يا إبراهيم!

فقاطعه الفتى قائلاً:
_ أوليس الله هو الذي قال بأنه هو الدهر.. أي أن الله هو الدهر.. وأنه هو من يُقلب الليل على النهار ويُقلب النهار على الليل؟ أولم يقل الله ذلك أيها المحترم؟

قال المحترم والنشوة تكاد أن تجعله يطير:
_ يا حُبي أنت !

هذه هي الكلمة التي كنت سأقولها عندما قاطعتني يا إبراهيم.. نعم! الله هو الدهر.. وهو القائم على كل كائن وكل مخلوق.. قائم عليه يأخذ بيده ويرشده. والملحدون يُثبتون وجود الله في محاولتهم إبطال وجوده.

وضع الفتى إحدى يديه على وجهه وأمسك به.. ثم قال:

_ أوحقاً يرضون على أنفسهم أن يكونوا كما قالوا؟!

فالأولى بدلاً مما قالوه عن الله وعن عدم وجوده؛ أن يؤمنوا ويصدقوا أن الله خلق كل أحد وأنه هو الذي ابتدعه وجعله.. وليُشغل فكره وقلبه بذلك حتى يشعر وكأنه سيذوب ولا يستطيع تحملاً من كل تلك العظمة والحب الذي عند الله في أن يخلقه. _ تكلم الفتى ووجهه كان كله منطقاً لكلامه_

والمحترم مازال ينظر إليه؛ قال:

_ إبراهيم! هل مازحت ربك من قبل؟!

نظر الفتى وأخذ يتسبم وقد انشرح قلبه كثيراً:

_ أنا لا أكف عن ممازحته! _ثم أخذ الفتى يضحك بوجهه المنير هذا_

تمالك الفتى نفسه ثم قال:

_ أنت تعلم أيها المحترم كيف أن الله فضل بعض الأوقات على بعضٍ لمزايا فيها.. وفضل بعض الليالي على بعض لمزايا فيها.

كنت مرة في إحدى هذه الليالي.. وهي ليلة سلام في سلام.. سلام غير عادي.. فأخذت في التسبيح أمداً بعيداً حتى أحسست أني بين يدي الله تعالى وهو أمامى.. وكأني في يوم القيامة؛ فصار قلبي مفزوعاً وكدت أن أغيب عن الوعي مصعوقاً.. ثم تذكرت كيف أنني كنت أمازحه؛ فازداد فزعي.. وحاولت بكل الطرق أن أخبر الله سبحانه أن يتداركني قبل أن انفطر؛ لأنني عبده ومخلوقه وأنه هو الرحيم العفو الطيب.. ثم سجدت على الأرض هرباً من الله إليه.. ولولا أن تدركني ربي؛ لانفطر قلبي في هذه الليلة.

المحترم يبدو عليه الذهول والتعجب الكبير من الفتى.. وراحة في قلبه إذا ما نظر إليه.. ويبدو أن الفتى فعلاً مُلقاة عليه محبة من الله.. ثم واصل الفتى قائلاً:

_ وماذا عنك أنت أيها المحترم.. هل مازحت ربك من قبل؟!

فقال المحترم:

_ مازلت أمازحه! حيث أنني أتوقف وأتفكر في أسماءه وفيما قاله عن نفسه وفي قدرته.. وأنه قادر عليم، ثم أعي وأفهم ما قاله الله؛ فينشرح صدري كثيراً.. ثم يُصيبني الذهول.. وما إن يُصيبني الذهول وينشرح صدري؛ آخذ أمازحه وكيف أنه قادرٌ رحيم ودود قريب بـرٌّ طيب.

ومرة حدث معي أني كنت في غرفتي بين النائم واليقظان.. فأتاني آتٍ وقعد عند رأسي.. ثم عرج بي إلى السمآء وسمعت صرير الأبواب فيها تُفتح.. وأحسست بأني تخطيت السماء الأولى.. ثم عرجت إلى السمآء الثانية وهكذا.. ثم أحسست أنني وصلت إلى أني بين يدي الله؛ فأخذت أريد أن أنظر؛ إلا أفقت ورأيت أنني مازلت في الغرفة تآئه بين النائم واليقظان.

انتهى الحديث بين المحترم والفتى.. ثم ذهب المحترم ليحضر شيئاً ما.. وعمد الفتى إلى سجادة وجلس عليها على ركبتيه وأمامه أجزاء من كتاب الله على مسند؛ ففتحه وأخذ يقرأ.. ثم خرَّ الفتى برأسه إلى ذقنه وأخذ في التفكير والتسبيح.

جاء المحترم وفي يده أشياء.. كتاب الله، وورقة مطوية يبدو أنها رسالة.. ويبدو أن هذا هو ما كان يحتويه ذاك المخزن الصغير! نظر المحترم إلى الفتى؛ فوجده جالساً على تلك السجادة يسبح ويفكر، والمحترم معتاد منه على ذلك.. ثم عمد المحترم إلى أريكةليجلس عليها.. وأمسك كتاب الله وقَـبَله ثم أخذ يقرأ فيه.. وبعد حين! انتبه من قرأته ونظر إلى الفتى؛ فوجده مازال على جلسته دون تغيير؛ فلم يُرد أن يقطعه عن تسبيحه؛ فرجع إلى قرأته.. وبعد مدة! نظر إلى الفتى مرة أخرى.. الفتى من عادته أنه إذا أطال التسبيح؛ أتى بحركة حتى لا يقلق المحترم.

اعتدل المحترم في جلسته.. وقبَّـلَ الكتاب وأغلقه.. ثم استعد للوقوف وقال بصوت هادئ قبل أن يقف:

_ إبراهيم ! لا أريد أن أقطع عليك تسبيحك..

إلا أنه لا شيء ! فوقف المحترم ومشى نحوه.. وتوقف عند رأسه وقال:

_ إبراهيم !

ووضع المحترم يده عليه؛ فخرَّ واقعاً.. فأدركه المحترم بخطفة منه، وجعل رأسه على صدره.. وإذا الفتى قد مات!

ضمه المحترم إليه بشدة ثم أخذ في البكاء وانذرفت الدموع حتى وقعت على وجه الفتى الميت.. وألصق المحترم فمه برأس الفتى وهو يبكي.. ثم أخذه في حجره وضمه إلى صدره وأخذ يقبله على بكاءه ويقول:

_ أيها الطيب الجميل !

ثم ذكر المحترم ربَّـه وكأنه يبكي بين يديه والفتى في حجره ولا اعترض.. فقط الفتى قد مات يا رب!

* * *

الفصل الخامس عشر

وفي المشفي؛ ما زال آدم في الغرفة المجهزة تلك، وحالته آخذة في التحسن.. إلا أن التحسنات خارجية فقط.. ففمه وأنفه مازالا كما هما إلا قليلاً.. ولا أحد يعلم حقاً ما هو سبب التحسنات التي فاجأت الجميع!!

بدأ آدم يفيق.. وانتبه من غيبوبته التي كان فيها؛ على عطشٍ شديد.. من شدته أنه لم ينتبه بما طرأ على جسده من تحسنات.. فقام بنزع أنبوب التنفس عنه واستطاع التنفس بدونه ولكن بصعوبة.. ثم أخذ ينتصب واقفاً على قدميه؛ فكاد أن يقع لولا أن تماسك بالسرير الذي كان نائماً عليه.. ثم حاول أن ينتصب من دون أن يقع؛ حيث لم يقف منذ زمنٍ بعيد.. ثم بدأ يبحث عن شيء أو مكان يشرب منه؛ فلم يجد.. فخرج يبحث فوجد مرحاضاً؛ فدخله.. وابتدر حوض المياه وأخذ يشرب ببطء على عطشه الشديد.. أخذ يشرب ببطء لأن ما في فمه يمنعه.. فشرب حتى ارتوى؛ إلا أنه ما من ارتواء خالص من دون الشعور بالغثيان في حالات المرض! أخذ آدم ينظر إلى المرآة ويتعجب على ما حلَّ به من العذاب! وكيف أنه هو من أوصل نفسه إلى ذلك! أخذ ينظر إلى المرآة ثم سلَّم رأسه تحت المياه المتدفقة.. وبعد هنيهة؛ بدأ عدم تحمله للإرتواء يحل.. فشعر بغثيان مع بدءه في السعال.. وكل ذلك أفقده التوازن؛ فجثا على ركبتيه وما زال يسعل وكانت أشياء تُقذف من فمه مع سُعاله وكأنها قطع ممّا في فمه من تكتلات وتقرحات.. ثم بدأ سعاله يهدأ إلى أن بدأ في التقيء بشدة حتى فقد وعيه.

تمر فترة من الزمن؛ ويفيق آدم على حالٍ غير الحال.. فتنفسه شبه عادي.. وشعور بقوة تسري في جسده.. ثم انتبه على قول أحدهم :

_ الحمد لله الذي شفاك وأذهب عنك الضُرَّ إن ربك لسميع الدعاء وإنه لقريب مجيب.

نظر فإذا هو المحترم إسحق بوجهه النضر.. فتبسم المحترم إليه؛ غير أن آثار الحزن علي وجهه.. ثم أخذت عيناه تمتلئ بالدموع.. تمتليء بالدموع بسبب رحمة الله لآدم، وموت الفتى الـمُحبب إبراهيم وانتقاله إلى رفقة ربِّـه.. كل ذلك خيَّم على المحترم وبسببه امتلأت عيناه بالدموع.. ويظهر أن اشتياقه لرِّبه قد بلغ أشده.. وبعد وهلة قال:

_ يا آدم! تدعو ورآئي بما سأقول.. إن شآء الله.

فقال آدم:

_ إن شاء الله أيها المحترم.

فقال المحترم داعياً:

_ ''سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب!

اللَّهم أتمم علي رحمتك وعفوك.. واجعلني آية لمن ورآئي! وأعوذ بك أن آمن مكرك بأن أظن بأنه سيتم شفائي مهما كان ما وصلت إليه من تقدمي في الشفاء؛ لأنني لا أملك من الأمر شيئاً.. فالأمر كله يرجع إليك ولا يتم إلا بمشيئتك.. يا من ترى ولا تُرى فتُدركه الأبصار.. إلا أنك ترى كل شيء وتُدرك كل بصر أيها العزيز القادر!

يا رب! ما من شيء في السموات وفي الأرض إلا ويحدث بحكمة بالغة.. يحدث بحكمة بالغة حتى يُظن أنه لا دخل لأحدٍ في إحداث ما حدث.. إلا أنه ما من أمرٍ كان إلا لَمَّا قلت له كُن، إنك أنت العزيز الحكيم.. أتمم علي رحمتك وعفوك واجعلني آية منك إنك على كل شيء قدير.. آمين!''

أعطى يوسفَ لآدم شيئاً وقال:

_ هذا بيان كتبه المحترم.. وقال أن نعطيكه إذا ما شفاك الله لتقرأه.

نظر آدم إلى المحترم؛ فقال المحترم له:

_ إذا شئت فاقرأه الآن.

فنظر آدم إلى البيان وأخذ يقرأ.. ونظر المحترم من النافذة.. وبينما يوسف خارجاً من الغرفة؛ لقي دانيال وإلياس خارجها؛ فسلما عليه قائلين:

_ مرحباً يوسف.. كيف هي الأخبار؟

فقال يوسف:

_ مرحباً إلياس.. مرحباً دانيال! الأخبار بخير والحمد لله.. وآدم يقرأ الآن البيان الذي قال المحترم بأن نعطيه له. _وأشار بيده إلى داخل الغرفة مشيراً إلى آدم؛ فتفاجئا.. فقال إلياس:

_ ما شآء الله.. لقد تغير شكله!

وقال دانيال:

_ ما شآء الله.. لقد شُفي!

فقال إلياس:

_ شفاه الله!

فقال دانيال منصاعاً:

_ آمنت بالله..

استئذنهما يوسف في الذهاب لقضاء حاجة.. ورأى دانيال وإلياس أن ينتظرا قليلاً حتى يفرغ آدم من قراءة البيان.. ولـمَّا بدا أنه انتهي؛ دخلا وسلاما عليه قائلين:

_ الحمد لله أن شفاك آدم..

فرَّد آدم قائلاً:

_ أهلاً إلياس.. كيف هي حالك؟

فقال إلياس:

_ الحمد لله بخيرٍ.. وهذا صاحبي دانيال، وهو من أصدقاء المحترم إسحق.. _وأشار مبتسماً ناحية المحترم_

فابتدر آدم بالسلام وقال:

_ تشرفنا دانيال.. وشكراً جزيلا على زيارتك.

قال دانيال:

_ الحمد لله على سلامتك وشفاءك.

ثم جلسا إلى جانب المحترم بعد أن صافحاه. وبعد قليل دخل يوسف ومعه الطبيب يحيى.. وما إن رأى يحيى آدم؛ حتى قال له ممازحاً:

_ الحمد لله على السلامة.. ما كل هذه الغيبة والنميمة.. أين كنت يا رجل؟ _فتبسم آدم والجالسون ونظر يحيى إليهم وقال:

_ مرحباً إلياس.. مرحباً دانيال.. أيها المحترم! هل علمت أن الله جعل من شربه للماء شفآءً له؟

قال المحترم :

_ إن الله إذا أراد شيئاً؛ فلا أحد يعلم جُنده إلا هو.

قال يوسف:

_ أيها المحترم ! لقد تحدثت إلى يحيى بشأن ما ذكرته في البيان الذي كتبته.. من حيث أن كل ما في الأمر عند الأحباب هو هيجان وألم في مكان حساس يهيج فيأتي الشيطان اللعين عليه _لعنه الله_ ويُلبس أمرهم عليهم، ويُزين لهم انقضاء الألم والهيجان؛ في الاستمتاع بفعل الفاحشة واللواط..

بدا على آدم الخجل؛ فجعل ينظر بين يده.. ثم أكمل يوسف قائلاً:

_وقد رأيت أيها المحترم؛ أنه ما دام الأمر كذلك؛ وجب أن نعرض الفكرة على إحدى شركات الأدوية.. فتصنع دواءً يُزيل ويُسكِن هذا الألم والهيجان.. وإني قد أشركت في هذا الأمر الطبيب يحيى.

قال المحترم:

_ إن شئت فافعل؛ وإلا فالصبر خير كثير للأحباب.. واعلم أن هيجانهم هذا ليس بشيء.. وأنه يأتي أصلاً لأفحل الفحول؛ ولكنه يأخذ في الحسبان عند الأحباب.. ثم هو في الأصل؛ لحظات معدودات ويذهب بعيداً جداً عنهم.. وهكذ حتى يزول إلى الأبد.. وليستعن الأحباب بالله وليصبروا قليلاً حتى يذهب عنهم هذا الهيجان والألم.. وليعلموا أنهم أقوى بكثير جداً من هذا الهيجان وذاك الألم.. وعندهم قدرة غريبة في التحمل.. فقط ليستعينوا بالله وليصبروا!

قال يوسف:

_ إذاً لا أفعل؟

فقال المحترم مبتسماً:

_ إن شئت فافعل؛ وإلا فالصبر خير كثير للأحباب.. واعلم أن الله أرحم بعبده من الأم بولدها.. وهو أعلم بكل واحد منا.. وأرحم بنا من أي أحدٍ آخر.. وكل ألمٍ أو مرضٍ أوضيقٍ مهما صَغُر؛ إن صبرت عليه؛ فما هو إلا طهور وتطهير من الذنوب وتكفير عنها.

فقال يوسف مبتسماً:

_ إذاً أفعل!

فتبسم المحترم وأخذ يضحك.. فهو يعلم مدى حرص يوسف على استجابة ورجوع الأحباب واتباعهم الهدى والرشاد والتوقف عن أي فعلٍ ذميم فاحش.. قال المحترم ومازال يضحك:

_ إذاً.. لعله خير أيها الحبيب.

سكت المحترم وعاودته حالة الحزن وعدم قدرته على المزيد من الكلام.. ولم يستطع أن يتحمل مزيداً من الجلوس والـمُكث أيضاً.. ثم لاحظ أن الرجال يتكلمون عن الروضة وعن كيفية ومكان إنشاءها، وعن آلية وطريقة العمل فيها.. فلم يستطع أن يُشاركهم بشيء.. غير أنه استئذنهم في الذهاب؛ فقالوا له متفاجئين:

_ إلى أين تذهب أيها المحترم.. هل أنت بخير؟!!

فقال المحترم بلطفاً:

_ أنا بخيرٍ والحمد لله.. ولكني أشعر برغبة في الرجوع إلى البيت.. ولا داعي لأن يوصلني أحد منكم.. فكما أنتم!

فلما رؤا أنه لا إرادة له في أن يوصله أحد؛ قالوا له:

_ إذاً سنأتيك الليلة.

فقال المحترم لهم:

_ قولوا إن شآء الله!

فقالوا:

_ إن شآء الله.

ثم قال لهم وكأنها كلمات الوداع والنصح الأخيرة:

_ اعلموا أيها الرجال!

اعلموا أنه ما من شيء حدث أو يحدث؛ إلا بمشيئة الله.. فلا تُقدموا على قول إنكم ستفعلون شيء آتٍ وقادم دون أن تقولوا إن شآء الله.. والله يحبكم ويأمركم أن تقولوا إن شاء الله؛ فأعلموا الله أنكم تعلمون ذلك وتؤمنون به وتحبونه بقولكم.. واعلموا أنه ما من أحدٍ أحب إليه المدح من الله.. فإنه يحب أن يُمدح.. وهو قد مدح نفسه كثيراً في كتبه التي أنزلها على الناس.

* * *

الفصل السادس عشر

المحترم مستلقٍ في بيته وماسك على قلبه.. ويشعر أنه قد جاء أجله.. حاول أن ينطق مستغفراً ومُسبحاً؛ إلا أن قلبه لا يستطيع تحملاً لأي كلام.. ثم قال على صعوبة ظاهرة من محاولته النطق وأخذ يبلع لعابه:

_ وسبحان الله ربِّ العالمين وبحمده.. استغفر الله لذنبي..

وأخذ يكررها.

❊ ❊ ❊

الروضة أُنشئت والحمد الله وتم العمل فيها واستقبلت الأحباب على رغبةٍ منهم صارمةٍ في الرجوع؛ فالحمد لله ربِّ العالمين.

وفي رسالة من دانيال إلى آدم.. وبالمناسبة فقد تزوج آدم من مريم صديقة سارة.. فقد رأها في زفاف سارة لدانيال. جاء في الرسالة:

"... ومن العجيب الذي رأيته وأحسه يا آدم! أن كثرة ذكري لله وتقربي إليه، وقرآئتي لكتابه الذي نَـزَّله على الناس، ومحاولتي أن أعيه وأن أتدبره؛ رأيت في كل ذلك آثار.. ومن تلك الآثار؛ أن صار من أحب الأشياء إليَّ في هذه الحياة؛ هو التمتع بزوجتي.."

آدم ممسك بالرسالة يقرأها.. فدخلت عليه مريم وفي فمها شيء تأكله.. فقال لها:

_ ماذا تأكلين؟

فتبسمت مريم وقالت:

_ إنها قطعة شيكولا..

فقال آدم لها ولا يُعلم ماذا أيقظت في نفسه هذه الرسالة القصيرة:

_ أويوجد غيرها؟

فقالت مريم:

_ نعم.. سآتيك بوحدة .

فقال آدم:

_ لا تأتي بشيء! تكفيني ما في فمك.. فقط توقفي عن مضغها أو بلعها!

ثم وضع الرسالة جانباً وأقبل عليها وعينه تقلبها.

* * *

الخاتمة

الحمد لله الذي أنزل على الناس كتابه وقرأه فهو لا يزال مقرؤاً إلى يوم القيامة.. وفيه تفصيل لكل شيء.. لكل شيء حقاً لا هزل ولا مزح.

وفيه أخبار الأولين قصها هو علينا.. وفيه ما هو آت؛ هو من أنبأنا به.. وفيه حكم ما بيننا؛ هو من حكم فيه.. وفوق كل ذلك؛ أنه قد عرَّفنا عن نفسه وعن أسماءه ذلك الجميل المتكبر الطيب.. فالحمد لله ربِّ العالمين.

الحمد لله ربِّ العالمين الذي عرَّفنا كيف هوالشيطان وكيف هي أعماله وكيده، وكيف أنه كيد ضعيف.. وقد أمرنا الله تعالى أن نستعيذ به من الشيطان لخفاءه المبين ووسوسته. والشيطان كما رأينا لا دخل له إطلاقاً مطلقاً بعالمنا الذي نحياه ونعيشه.. وإنما دخله إلينا هو بالإيحاء وقدرته على الإلباس، وتذكيره لنا بما حدث وبما فعلناه.

وأن من مداخل الشيطان على الإنسان؛ أنه يدخل على جرح في النفس أو خلل في المخ.. ومن طرق التخلص من مداخل الشيطان غير الطرق التي ذكرنها بين صفحات هذه الرواية؛ هي بالنظر إلى موضع الجرح في النفس أو موضع الخلل في المخ وإسكانه بالدواء.

وبين صفحات تلك الرواية؛ قد تمَّ لنا أن نُعري الإلحاد.. ورأينا أن الإلحاد هو دين قديم جداً.. قديم قدم الإيمان.. قديم ولكنه يختلف في المضمون من زمان إلى زمان أو من مكان إلى مكان.. غير أن عقلية الملحدين هي واحدة لا تختلف مع الزمان أو المكان.. لا تختلف؛ لأن كل الملحدين يصلون في النهاية بتفكيرهم إلى حد التوهان والمجهول واللاشيء.. وهذا

اللاشيء قد فعل الأفاعيل قديماً ولا يزال يفعلها حتى الآن.. فإليه تُنسب الخلائق.. وإليه يُنسب العقل والقدرة.. وإليه تُنسب الأفعل والأعمال.. وعلى الرغم من أنه لاشيء؛ إلا أنه تُنسب إليه كل شيء.

وبين صفحات تلك الرواية أيضاً؛ قد حاولنا أن نرجع بالناس إلى أن يتذكروا أنفسهم..فحاولنا تنبيههم وإثارتهم بالتعجب من كونهم وكون الأشياء من حولهم: من هم؟ كيف جاءوا ولماذا؟ وكيف جاءت الأشياء من حولهم ولماذا؟ ومن هو الذي وراء كل ذلك؟

وبعد أن تسألنا تسأولات الإيمان؛ حاولنا أن نجد لها إجابة تشفى الصدور حقاً.. إجابة يحس بها الناس جميعاً.. إجابة تربط الناس مع فطرتهم الإنسانية.. إجابة لا تأخذهم إلى حياة الشياطين وعالمهم.. إجابة لا تبطل فيها معاني الحياة، وتلك هي إجابة الإيمان بالخالق المريد الذي يعلم ما يريد.

الحمد لله ربِّ العالمين أن جعلني مباركاً وعلمني كل ذلك، وأحاطني علماً بكل ما ذكرته وبكل ما يجول في صدري، وذلك فضل مبين منه علي وعلى يسمعني..

أنا من سماني ربي حين كنت وليداً طارقِ ¦ وسمى نجمه على اسمي فهو في السمآء ثاقبِ

وسلام على الفؤاد أحمد.. والحمد لله ربِّ العالمين .

الطارق

المنيا – الأربعاء 29من رمضان 1434

07 / 08/ 2013